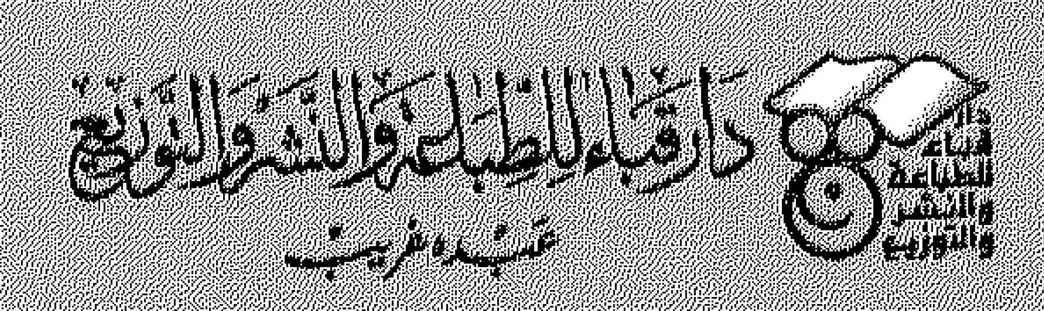

الغارة على القرآن الكريم


دكتور
عبد الراضى محمد عبد المحسن


دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع
عبده غريب


الغارة على القرآن الكريم

الغارة على القرآن الكريم

الدكتور

عبد الراضي محمد عبد المحسن

دار العلوم جامعة القاهرة

١٤٣١ هـ - ٣٠٠٠ م

الناشر

دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع (القاهرة)

الكـــــــتاب : الغارة على القرآن الكريم
المؤلـــــــف : د. عبد الراضي محمد عبد المحسن
رقـــم الإيــــداع : ٢٠٠٠/١٥٨٠٣
الــترقيم الــدولى : I. S. B. N.
٩٧٧-٣٠٣-
تـــاريخ النشـــر : ٥-٢٩٦

٢٠٠١ م

الناشـــــــر : دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع (عبده غريب)
شركة مساهمة مصرية
الإدارة : ٥٨ ش الحجاز - عمارة برج آمون - الدور الأول - شقة ٦
☎ ٦٣٦٢٥٦٢ ــ فاكس: ٦٣٧٤٠٣٨
الـــــــتوزيع : ١٠ ش كامل صدقى الفجالة (القاهرة)
☎ ٥٩١٧٥٣٢ / ✉ ١٢٢ (الفجالة)
المطــــــابع : مدينة العاشر من رمضان ــ المنطقة الصناعية (C1)
☎ ٠١٥/٣٦٢٧٢٧

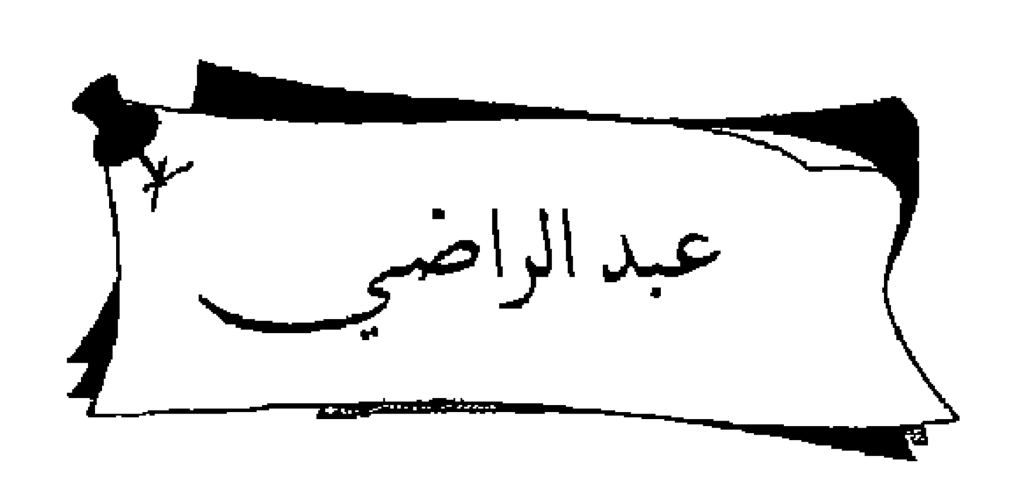
بسم الله الرحمن الرحيم

إلى شيخ الإسلام ابن تيمية :

بدأت مشروعًا معرفيًا هائلاً

وكم أتطلع إلى استكماله . .

فإن فاتتني عزيمتك ، فلن تقعد بي المنهجية .



مُقدِّمة

لعلّ أطروحة صمويل هنتنجتون التِي دوَّت فى الهزيع الأخير من القرن الميلادى المنصرم، كانت أمثل تعبير عن حقيقة ما يعتور عالمنا المعاصر من صراع حضارى ذى جوهر دينىّ .

ولم يكن سيل الكتابات الغربية التى تجعل من الإسلام وأمته وحضارته وعالمه عدوّ الغرب الحالىّ والمستقبلىّ الذى يمثل إمبراطورية الشر بعد زوال المعسكر الشيوعى، إلا تجسيداً لأحد أبعاد ذلك الصراع الضاري [1].

وهذا الجانب الملتهب من جوانب الصراع وإن كان هو المستحوذ على غالب الاهتمام، إلا أن هنالك جوانب أخرى تماثله فى الأهمية، بل قد تفوقه فى الخطورة؛ لأن المستهدف فيها هو القلوب النابضة والعقول المحركة للقاطرة البشرية.

ومن تلك الجوانب حرب المعتقدات ومعركة الثقافة ، التى تأتى فى مقدمتها الغارة التنصيرية على القرآن الكريم. تلك الغارة الشرسة التى تستهدف أصالة القرآن الكريم بوصفه كلام الله المنزل على خاتم رسله محمد بن عبد الله (ﷺ)، وتطعن في ربانية مصدر القرآن، وفي صحة تلقي النبي (ﷺ) الوحي القرآني بواسطة أمين الوحي جبريل عليه السلام.

ولما كان القرآن الكريم كتابًا ليس مثل الكتب الأخرى في ديانات العالم ، لأنه الدستور الذي يقوم عليه الدين الإسلامي، كما أنه الوحي النازل من السماء والدليل المعجز المثبت لصحة نبوة ورسالة مبلغه في الآن نفسه.

لذلك فإن الطعن فيه يمثل طعنًا في أصالة الإسلام وجدارته واستحقاقه قيادة

---

(١) يأتي في مقدمة تلك الكتابات دراسة بعنوان Christianity and Islam للكاتب البريطاني Edward Mortimer وأخرى بعنوان Islam and Marxism للعالم الأنثروبولوجي Ernest Gellmer ، وقد نشرت الدراستان كملف خاص عن الإسلام في مجلة "International Affairs B: ٦٧ . ١ Junuary ١٩٩١" وشهادة ثالثة جاءت على لسان سياسي بارز ومسؤول كبير كان يشغل منصب رئيس المجلس الوزاري الأوربي ووزير خارجية إيطاليا "جياني ديميكليس" عندما برر سبب وجود حلف الأطلنطي بعد زوال المواجهة مع حلف وارسو، بأن المواجهة مع العالم الإسلامي هي مبرر بقاء الحلف .

الإنسانية، كذلك يمثل طعناً في صدق النبي محمد (ﷺ) وفي صحة نبوته.

وهنا تكمن خطورة الغارة على القرآن الكريم بما خلّفته من افتراءات وشبهات ودعاوى روجتها الجدليات التنصيرية، فقد كانت هذه الافتراءات قوية الأثر إلى الحد الذى انخدع له بعض الدارسين من أبناء الإسلام [(١)].

ولم تكن الردود على تلك الافتراءات تدانيها فى الأثر، فى الوقت الذى كان ينبغي أن تكون الردود أقوى حتى لا تبقى مجالا للشكوك أو الشبهات .

وربما يعود ذلك في جانب منه إلى عدم التخصص المنهجى للدارسين، حيث جاءت هذه الردود عرضاً فى سياقات مختلفة من الحديث عن الإسلام أو الفكر الإسلامي وعلاقته بالغرب من غير المتخصصين، وقد مثّل ذلك التناول الثانوى ثانى أسباب قصور تلك الردود .

بينما يتطلب هذا النوع من الدراسات إلماماً بجوانب معرفية عديدة، مثل: تاريخ الأديان، المعتقدات الدينية لدى أهل الكتاب، مضمون الكتب المقدسة، مناهج النقد العلمي: كالمنهج المقارن ومنهج نقد النصوص، والنقد الشكلى والنقد التاريخي.

وهذا ما دعانا إلى الإقدام على التصدي لهذه الغارة بحكم التخصص العلمي الدقيق، بالإضافة إلى ما يحدونا من أمل طموح في القيام بمطالب الإسلام وحقوقه علينا في إظهار كلمته على الدين كله، إذ تهدف هذه الدراسة إلى تحصين المسلم المعاصر وتزويده بنظرة نقدية للفكر التنصيري حول القرآن الكريم، وتاريخ الجدل ضد أصالته، ومسالك المنصِّرين فى جدلياتهم ضد أصالة القرآن الكريم بما يتمكن معه المسلم المعاصر من الفكاك من أسر الأطروحات التى قدمها التنصير خلال مراحل ارتقائه التاريخي منذ نشأته حتى يومنا هذا.

كما تهدف الدراسة من جانب آخر إلى توجيه الدعاة إلى الله بين غير المسلمين إلى الردود والشواهد العقلية والنقلية، والبراهين العلمية، والحقائق التاريخية التي تعينهم في الدعوة إلى كتاب الله، وتمكنهم في الآن نفسه من تصحيح المفاهيم المغلوطة التي روّجها المنصِّرون حول القرآن الكريم بغرض صرف الناس عنه.

---

(١) منهم على سبيل المثال فيما يخص موضوعنا: طه حسين – محمد خلف الله – محمد أركون – نصر أبو زيد.

وقد جاءت الدراسة – وفقًا لأهدافها – في ثلاثة محاور تضمنتها فصول ثلاثة:

الأول : يهدف إلى الكشف عن (حركة الجدل التنصيري ضد أصالة القرآن الكريم)، وذلك ببيان حقيقة التنصير ، ثم تحديد دوافع الجدل التنصيري ضد القرآن الكريم ، ثم بتتبع تاريخ الجدل التنصيري ضد أصالة القرآن الكريم من خلال رصد أدواره الخمسة :

١- دور التأسيس

٢- الجدل البيزنطي

٣- مرحلة الأندلس

٤- مرحلة الحروب الصليبية

٥- التنصير المؤسَّسي

ثم بالوقوف على مسالك الجدل التنصيري الأربعة ضد القرآن :

١- ترجمة القرآن.

٢- البحوث التنصيرية حول القرآن.

٣- إصدار الدوريات والقواميس ودوائر المعارف المتخصصة.

٤- ترويج المزاعم وإثارة الشبهات.

الثاني : يتصدى لـ " تفنيد مزاعم الجدل التنصيري حول أصالة القرآن الكريم"، وذلك ببيان وجوه تهافت دعاوى المنصِّرين حول أصالة القرآن الكريم، من خلال الأدلة النقلية والعقلية ومقررات العلوم الإنسانية والتجريبية والاجتماعية، وبواسطة مناهج النقد الشكلي والتاريخي ونقد النصوص، والمنهج المقارن.

الثالث: يستخلص (دلائل الإعجاز القرآني) التي تقطع بربانية مصدر القرآن، وبصحة نبوة محمد، وبصدق تلقيه الوحي الإلهي، تلك الدلائل المتنوعة والشاملة لجميع جوانب ومجالات الإعجاز البياني، والإخباري، والتشريعي، والعقلي، والعلمي، التي لا يملك العاقل معها إلا التسليم بأن هذا القرآن إن هو إلا وحي

يوحى نزل به الروح القدس على قلب خاتم الأنبياء والمرسلين .

وختامًا أسأل الله العلي القدير أن يكون – تعالى – هو القصد من وراء هذا البحث ، وأن نكون قد وفقنا فيما ابتغيناه من التصدي للغارة الشعواء على كتابه الكريم، بعد أن تصدينا في كتابنا " نبي الإسلام بين الحقيقة والادعاء " للرد على غارة التنصير على رسول الإسلام .

والله الموفق ...،

القاهرة في:

١٤ ربيع الثاني ١٤٢١ هـ

١٦ يـــوليــو ٢٠٠٠ م

عبد الراضي محمد عبد المحسن

الفصل الأول

حركة الجدل التنصيري

ضـــد

أصالة القرآن الكريم

حقيقة التنصير

التنصير يطلق على النشاط الذي يمارسه أفراد وهيئات ومنظمات أجنبية في الأراضي الإسلامية ضد العقيدة والثقافة والمجتمع في الإسلام.

وقد طرحت الكلمة كترجمة للمصطلح الأوربى Missions بديلاً عن كلمة ((التبشير))[1]، وهو ما نختلف معه، وذلك لأسباب تتعلق بصحة ترجمة اللفظ وبمفهومه، وهى : -

١- الترجمة الصحيحة لكلمة Mission هى (التبشير بالدين المسيحى - المأمورية - البعثة) وليس التنصير[2].

٢- الهدف النهائى لذلك النشاط الهدام ليس إدخال المسلمين فى النصرانية، كما سيتبين لنا فيما يأتى.

٣ - لا مبرر لعدم الرضا عن مصطلح التبشير تخوفاً من ظلاله الحسنة، لأن التبشير قد عبّر به القرآن الكريم عن الحسن والطيب، وعبَّر به كذلك عن السوء والشر ومالا تحمد عقباه، كما قال تعالى: ﴿ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ (آل عمران/٢١) وكقوله تعالى: ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالأُنثَى ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ* يَتَوَارَى مِنَ الْقَوْمِ مِن سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ ﴾ (النحل / ٥٨ ــ ٥٩) وكقوله تعالى: ﴿ فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ (لقمان/٧). فالعبرة بمضمون البشارة وليس بظلال المصطلح.

٤- أن المستهدف بهذه الإرساليات والبعثات الدينية ليس المسلمين وحدهم، بل إن التبشير يمارس ضد طوائف النصارى الشرقيين من أرمن وقبط وأرثوذكس[3].

---

(١) راجع هذا الاتجاه لدى: محمد عثمان بن صالح، النصرانية والتنصير أم المسيحية والتبشير، ص: ٦٩، مكتبة ابن القيم، المدينة المنورة ١٤١٠هـ- ١٩٨٩م - د. علي النملة، التنصير ، ص : ١٧، ١٤١٣هـ- ١٩٩٣م بدون بيانات - د. عبد العزيز العسكر، التنصير ومحاولاته في الخليج العربي، ص: ١٤، مكتبة العبيكان ، ط١، الرياض ١٤١٤هـ- ١٩٩٣م - د. علي جريشة، الاتجاهات الفكرية المعاصرة، ص: ٢٧.

(٢) Goetz Schregle, Deutsch – Arabisches Woerterbuch, S : ٨٣٠ London – Beirut ١٩٧٧.

(٣) د . علي النملة ، التنصير ، ص ١٥ .

٥ – كثير من أفراد البعثات التبشيرية قد انضم إليها لتحقيق أغراض ومآرب شخصية، مثل: السياحة والتجارة وغير ذلك [١].

٦- التبشير هو أحد مؤسسات التنصير وليس كلَّ التنصير؛ مما يجعل من قصر مصطلح التنصير على العمل التبشيرى وتخصيصه به تمويهاً على المستهدفين بالتنصير وتحويل أنظارهم بعيداً عن نشاط المؤسسات التنصيرية الأخرى، التى ربما يفوق تأثيرها الهدَّام تأثير التبشير.

٧- أن كلَّ مبشِّر منصِّر، لكن ليس كلُّ منصِّر مُبشِّراً.

أما عن مفهوم التنصير فى البيئة الإسلامية فقد صيغ المفهوم وتحددت وظيفته فيما يؤدى إلى إخراج المسلمين من دينهم وليس بالضرورة إدخالهم فى النصرانية[٢].

وهذا المفهوم الحديث للتنصير يلمس أحد أبعاد العمل التنصيرى، لكن هناك أبعاد أخرى لحقيقة التنصير لا يمكن الوقوف عليها إلا بإدراك طبيعة الصراع الكونى بين الديانات الكبرى من أجل استحقاق شرف ريادة الإنسانية وقيادتها، تلك القيادة التى تستمد مشروعيتها من امتلاك الحقيقة المطلقة المؤسَّسة على الوحى.

ولمَّا كان الإسلام قد أثبت صدق دعواه امتلاك الحقيقة المطلقة والقدرة على قيادة الإنسانية باختلاف أجناسها وشعوبها وتطلعاتها وآمالها، وذلك بما أنجزه فى حيز التطبيق الفعلي لذلك الاستحقاق، حيث استطاع فى قرن ونصف من الزمان أن يجمع تحت رايته أكثر من ثلثي المسكونة من بيض وسود، وعرب وعجم، وبربر وترك وهنود وقوقاز، سوّى بينها فى الحقوق والواجبات، وصهرها فى بوتقة شكلت أزهى عصور التاريخ: حضارة وعلماً وأخلاقاً.

فإن تلك القدرة الهائلة للإسلام قد أذهلت أهل الكتاب الذين قعدت بهم دياناتهم عن تبوّء تلك المنزلة أو ما يدانيها، على الرغم من الفترة الزمنية السحيقة التى قرعت العالم فيها نواقيس اليهودية والنصرانية.

---

(١) د.فروخ – الخالدي، التبشير والاستعمار في البلاد الإسلامية، ص ٤٩، ٥٠، المكتبة العصرية، بيروت ١٩٨٦م.
(٢) د. فروخ – الخالدي ، التبشير والاستعمار ، ص ٣٩ .

لهذا أدرك أهل الكتاب خسارتهم معركة التحدى الكونية، بسبب فقد ديانة العهد القديم والعهد الجديد المقومات الذاتية اللازمة لقيادة الإنسانية والارتقاء بها حضارياً وأخلاقياً، فعمدوا إلى سلوك طريق آخر يستهدف إقصاء الإسلام [١]. عن الحلبة الكونية نهائياً؛ حتى يتسنى لهم قيادة السفينة وامتلاك مقدراتها بما يدّعون من حقٍ إلهى مقدس.

فكانت المواجهة مع الإسلام والصراع ضده هى السبيل لتحقيق ذلك الهدف، وقد اتخذ ذلك الصراع شكلين أساسيين هما الحروب العسكرية التدميرية، وحرب العقيدة والفكر التى تسعى للنيل من: الإسلام، ونبيِّه، وكتابه، ومعتقداته، وشرائعه، ونُظُمه؛ بهدف زعزعة عقيدة المسلم وتشكيكه فى دينه، مما يقود إلى الخروج من الإسلام وليس بالضرورة الدخول فى النصرانية [٢].

ويكشف لنا هذا الغرض النهائى من حرب العقيدة والفكر سرَّ المشاركة الفعالة لليهود فى الصراع ضد الإسلام جنبا إلى جنب مع النصرانية رغم كراهيتهم واحتقارهم لها، إذ إن المسلم الذى يخرج عن دينه لن يصلح للإنسانية فى شىء فيكون خروجه نكاية من اليهودية فى الإسلام، فإذا اعتنق النصرانية فذلك نكاية من اليهودية فى الإسلام والنصرانية معاً. قال تعالى: ﴿ **وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّن بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّاراً حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ** ﴾ **(البقرة:١٠٩)**.

وعلى ذلك يكون الصراع ضد الإسلام عملاً يهودياً نصرانياً مشتركاً تنوعت فيه الأدوار وتوزعت التخصصات ما بين: الخبراء، وشركات الأعمال، والمؤسسات، والإرساليات، والجيوش، ووزارات الخارجية، ووكالات الاستخبارات، وأساتذة

---

(١) يصرح المنصرون برغبتهم في إقصاء الإسلام، فالمنصر جسب يود أن يمحي الإسلام من العالم، ويصرح غيره بأن الغاية من عملهم هي: "القضاء على الأديان غير النصرانية ".
راجع : فروخ الخالدي ، مرجع سابق ، ص ٣٦ ، ٤٥ .

(٢) راجع في هدف الإرساليات والوعاظ من النصارى واليهود :
- مصطفى الخالدي – عمر فروخ ، التبشير والاستعمار في البلاد الإسلامية ، ص ٤٦ .
- إبراهيم الجبهان ، ما يجب أن يعرفه المسلم من حقائق عن النصرانية والتبشير ، ص ٢٧، الرئاسة العامة للبحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد . الرياض ١٤٠٤ هـ.

الجامعات، والمراكز والمعاهد العلمية، والمستشرقين، وصانعي السياسة [١].

وهذا الصراع الذي يشكل جوهر الغارة التنصيرية على العالم الإسلامي [٢]، يجعل من حصرنا فعاليات التنصير في نشاط الإرساليات التبشيرية فهماً قاصراً لطبيعة التنصير وأبعاده وأدواته، فما هذا النشاط إلا أحد آليات التنصير، ولذلك فإن تخصيصه وحده باسم التنصير وصرف الهمم تجاهه وحده واستنزاف الجهد في تتبع وسائله وممارساته، ليشكل وجها ثانياً من وجوه القصور في فهم طبيعة الغارة التنصيرية في جانبها العقدي، فهذا الجانب يشتمل على: جدليات، ودعاوى، ومزاعم، وشبهات مثارة من قِبَل دوائر تنصيرية عديدة إلى جانب الإرساليات التبشيرية ووعاظها، منها: الاستشراق، وكالات الاستخبارات، ووسائل الإعلام، مراكز البحوث والمعاهد العلمية.

من جهة ثانية فإن أخطر نتاج الغارة التنصيرية الذي يجب أن يكون محل الاهتمام عبر دوائر التنصير المختلفة هو الجدليات التي استهدفت أصالة القرآن الكريم؛ نظراً للتلازم بين القرآن وبين الرسول كما قال تعالى: **﴿ سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ ﴾ (فصلت/٥٣).**

فالضمير في ((أنه الحق)) كما يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: (يرجع إلى القرآن، فإذا كان القرآن حقا لزم كون الرسول الذي جاء به صادقاً يجب التصديق بما أخبر وإطاعة ما أمر واجتناب ما نهى)[٣].

وتكمن خطورة الجهد التنصيري في هذا المجال ليس فقط فيما يستهدفه، بل في كثرة المؤسسات والمنظمات التنصيرية التي تقوم به وتنوعها ما بين علمية وثقافية ودينية واجتماعية، فقد أثمر ذلك الجهد الهائل عن نجاح، إن لم يكن في

---

(١) بتصرف من : إدوارد سعيد، الاستشراق ، ص ٣٠٠، بترجمة كمال أبو ديب، مؤسسة الأبحاث العربية، بيروت ط٢ : ١٩٨٤ م .

(٢) ربما يكون الاستاذ عبد الرحمن الميداني قد تنبه إلى الطبيعة الشمولية لعداء أهل الكتاب للإسلام، ذلك العداء المتمثل في الصراع ضد الإسلام بما أسماه: أجنحة المكر الثلاثة : الاستعمار – التنصير – الاستشراق . راجع كتابه: "أجنحة المكر الثلاثة"، دار العلم، دمشق ط ٥ ، ١٤٠٧ هـ – ١٩٨٦ م.

(٣) ابن تيمية، الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح (٤/٢٥٠) وانظر (٤/٢١-٢٢) مطبعة المدني، مصر، بدون ترقيم .

تحقيق المسعى بتحويل المسلمين عن دينهم، فقد تمثل فى تنشئة طبقة من المثقفين المتعاطين لمنتجات الفكر التنصيرى الثقافية والعقائدية، وهذه الطبقة إسهامها فى حقل الجدل التنصيري ضد القرآن الكريم ربما يكون أكبر بسبب ما لها من سلطة فكرية وحضور ثقافي ومكانة علمية برّاقة، مكنتها من القيام بدور المخبر الثقافي والنائب المحلّى للفكر التنصيري فى بلاد العالم الإسلامى.

ومثل هذا الجهد التنصيرى الضخم يتطلب لمواجهته عملا جماعياً منظماً لا يفى به بحث هنا أو مقال هناك. إن متابعة هذا النشاط الواسع لا تقوم به إلا مؤسسات، ونحن نفتقد حتى يومنا هذا مؤسسة متخصصة فى هذا النشاط والرد على جدلياته.

دوافع الجدل التنصيري ضد أصالة القرآن الكريم

تتعدد دوافع الجدل التنصيرى ضد أصالة القرآن الكريم ، فمنها دوافع خاصة بأهل الكتاب ومنها دوافع عامة لكل خصوم القرآن من كتابيين وغيرهم. ومن تلك الدوافع التى يمكن رصدها:

١ - صرف الأنظار بعيداً عن القرآن.

وقد كان ذلك هدفاً لمشركى مكة، وسعوا إلى تحقيقه بوسائل عدة منها: صدُّ الناس عن القرآن، التصفيق والصفير عند تلاوته ، إثارة المزاعم والشكوك حوله.

وكان ظن المشركين أن ذلك مجلبة للغلبة والنصر، قال تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ﴾ (فصلت/ ٢٦).

وهذا ما اعتقده المنصرون تماما، يقول المنصِّر وليم جيفورد بالكراف: ((متى توارى القرآن ومدينة مكة عن بلاد العرب يمكننا حينئذ أن نرى العربى يتدرج فى سبيل الحضارة التى لم يبعده عنها إلا محمد وكتابه)) [(١)].

والمقصود بالحضارة التى حال القرآن بين المسلمين وبينها فيما أشار إليه المنصِّر هى الحضارة ذات المفهوم الغربى للكون والحياة ، ذلك النموذج الذى أكد ((جيانى ديميكليس)) رئيس المجلس الوزارى الأوربى على ضرورة فرضه وإلا فالحرب هى الخيار [(٢)].

ولاشك أن المناعة الذاتية الجبارة التى خلقها القرآن فى المسلمين قد حالت بينهم وبين الاندحار الحضارى أو السقوط المدوى أمام التكالب الأممى لجحافل التتار والصليبيين فى الماضى وأمام الغزو الاستعمارى فى العصر الحديث، وكذلك جعلت إمكانية تنصير المسلمين مرهونة بإبعادهم عن القرآن وصرف أنظارهم عنه،

(١) جلال العالم، دمروا الإسلام وأبيدوا أهله، ص ٦٣، مكتبة الصحابة جدة – مكتبة التابعين، القاهرة. ١٩٩٤م.
نفس المعنى كرره المبشر وليم موير: "إن سيف محمد والقرآن هما أكثر أعداء الحضارة والحرية والحقيقة الذين عرفهم العالم عنادًا حتى الآن" إدوار سعيد، الاستشراق، ص ١٦٨، مرجع سابق.

(٢) د . محمد عمارة ، استراتيجية التنصير ، ص ٢٩ ، مرجع سابق .

وقد تجلّى انكشاف تلك الحقيقة الثمينة فى تأكيد غلاد ستون أحد موطدى دعائم الإمبراطورية البريطانية فى الشرق الإسلامى: ((مادام هذا القرآن موجوداً فلن تستطيع أوربا السيطرة على الشرق، ولا أن تكون هى نفسها فى أمان)) [1].

٢ – موقف القرآن الكريم من كتب أهل الكتاب ومعتقداتهم .

حدد القرآن الكريم بوضوح وجلاء موقفه من الكتب السابقة ، متمثلا فى :

أ – الهيمنة عليها ، قال تعالى: ﴿ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ﴾ (المائدة/٤٨).

ب – أفضليته وكماله، قال تعالى: ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُّتَشَابِهًا مَّثَانِيَ﴾ (الزمر/٢٣)، وترجع أفضلية القرآن على غيره من الكتب إلى كماله من جهتين: أولاهما: تبيانه لكل شيء، قال تعالى: ﴿ مَّا فَرَّطْنَا فِي الكِتَابِ مِن شَيْءٍ ﴾ (الأنعام/٣٨)، وقال تعالى: ﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ﴾ (النحل/٨٩)، والثانية: إرشاده إلى غاية ما يصبو إليه الإنسان وما يحقق له كمال الدنيا والدين، قال تعالى: ﴿ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يِهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾ (الإسراء/٩).

جـ – كشف التحريف والتبديل الواقع فيها : بالإخفاء والكتمان: ﴿ قُلْ مَنْ أَنزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاء بِهِ مُوسَى نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ تَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا ﴾ (الأنعام/ ٩١)، أو بالنسيان: ﴿ وَمِنَ الَّذِينَ قَالُواْ إِنَّا نَصَارَى أَخَذْنَا مِيثَاقَهُمْ فَنَسُواْ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِ﴾ (المائدة/١٤)، أو بالوضع: ﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِندِ اللّهِ لِيَشْتَرُواْ بِهِ ثَمَناً قَلِيلاً فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُمْ مِّمَّا يَكْسِبُونَ﴾ (البقرة/٧٩)، أو بالتغيير المتعمد: ﴿أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُواْ لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلاَمَ اللّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِن بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ (البقرة/٧٥).

ورفض القرآن زعم اليهود والنصارى أنهم أبناء الله وأحباؤه، وبكّتهم وذم أخلاقهم وفضح خطيئاتهم بما يعنيه ذلك من طعن فى مشروعية امتلاك حق مقدس فى قيادة البشرية. قال تعالى: ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاء اللّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ قُلْ

(١) محمد أسد ، الإسلام على مفترق الطرق ، ص ٤١، دار العلم للملايين ، بيروت ، ١٩٨٧ م .

فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم بَلْ أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ يَغْفِرُ لِمَن يَشَاء وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاء ﴾ (المائدة / ١٨).

وأنكر عليهم دعواهم صلب المسيح؛ ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِن شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُواْ فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلاَّ اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا بَل رَّفَعَهُ اللّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾ (النساء/ ١٥٧ - ١٥٨).

وكفّر الذين قالوا ببنوة المسيح وألوهيته: ﴿وَقَالَتْ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِؤُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ ﴾ (التوبة/ ٣٠).

وقال تعالى: ﴿ لَّقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَآلُواْ إِنَّ اللّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ ﴾ (المائدة/١٧).

وقد شكّل هذا الموقف القرآنى الدقيق من العهدين القديم والجديد ومعتقداتهما جداراً صلباً أمام نجاح الفكر التنصيرى أو ما يرتبط به من رؤى حضارية فى اختراق الحياة الروحية أو صمود العقيدة الإسلامية، مما دفع بدهاقنة العمل التنصيرى إلى التساؤل بعد أربعة عشر قرنا من بدء الغارة التنصيرية [(١)]:

- هل من الممكن حقا إقناع المسلم بأن النصارى لم يزّوروا الكتاب المقدس؟ أو أنهم ليسوا مشركين؟ أو أن المسيح هو أكثر من كونه ابن مريم كما هو مذكور فى القرآن ؟ أو أن صلب المسيح وبعثه قد تم فعلاً؟.

- هل الإسلام بوصفه دينًا قائمًا على الكتاب (القرآن) يصعب من قبول النصرانية أم يسهل ذلك، وبأية وسيلة؟

- كيف يمكننا التغلب على النصوص القرآنية التى تكذب بعض الأجزاء المهمة من رؤية العهد الجديد ؟

٣ - إبطال المعجزة القرآنية

لما كان القرآن الكريم هو دليل نبوة محمد (ﷺ) الأكبر، وبرهانها الساطع

---

(١) التنصير: خطة لغزو العالم الإسلامي (الترجمة الكاملة لأعمال مؤتمر كلورادو التبشيري) ص١٨٨، ٢٠٣، دون بيانات.

وحجتها البالغة وأخص آياتها. وأظهر علاماتها بسبب اجتماع الوحى المدّعى والدليل المعجز الذى تحدى به النبي (ﷺ) العالم إنسه وجنّه: ﴿ قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَن يَأْتُواْ بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لاَ يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ (الإسراء/٨٨).

لذلك فقد أدرك المنصرون أن القرآن أقوى وأمضى أسلحة المسلمين فى صراعهم ضد جحافل التنصير، فعملوا جاهدين على إبطال فاعلية هذا السلاح، بتحجيم قيمته، وتفريغه من مضمونه، ونفى أصالته، تمهيداً لمحاولة سلب محمد (ﷺ) شرف النبوة بحجة: ((عدم وجود معجزة تؤيد نبوته)) [١].

وقد حدد الواعظ التنصيرى ((جون تاكلى)) هذا الباعث من الجدل التنصيرى ضد أصالة القرآن الكريم، قائلا: ((يجب أن نستخدم كتابهم وهو أمضى سلاح فى الإسلام ضد الإسلام نفسه لنقضى عليه تماماً . يجب أن نرى الناس أن الصحيح فى القرآن ليس جديداً وأن الجديد فيه ليس صحيحاً)) [٢].

ويمكن القول بأن افتراض نجاح الجهد التنصيرى فى فك التلازم الضرورى فى الإسلام بين القرآن والوحى والرسول المبلِّغ، ذلك التلازم المستند إلى إلهية مصدر القرآن، لسوف يؤدى إلى ((الضعف التدريجى فى الاعتقاد بالفكرة الإسلامية وما يتبع هذا الضعف من الانتقاص والاضمحلال الملازم له، سوف يفضى بعد انتشاره فى كل الجهات إلى انحلال الروح الدينية من أساسها)) [٣].

---

(١) تيودور أبو قرة/ ميمر في وجود الخالق والدين القويم، ص ٨٥، بتحقيق: اغناطيوس ديك. بيروت ١٩٨٢م. وانظر Adel The odere Khoury, Der theologische Streit der Byzantiner mit dem Islam, S: ٣٨-٣٩.

(٢) مصطفى خالدي – عمر فروخ ، التبشير والاستعمار في البلاد الإسلامية ، ص ٤٠ ، مرجع سابق.

(٣) أ. ل شاتليه، الغارة على العالم الإسلامي، ص ٩، مرجع سابق، نشرة محب الدين الخطيب. بيروت، د.ت.

تاريخ الجدل التنصيري ضد أصالة القرآن

بدأ الجدل التنصيري ضد أصالة القرآن ـ مبكراً جداً ـ مع أول صدام بين المسلمين والجماعات المسيحية فى الأراضى الخاضعة للدولة البيزنطية، ولعبت الشام أكبر وأهم الأدوار فى تاريخ الجدل التنصيري ضد أصالة القرآن، وقد تعددت مراحل الجدل التنصيري ضد القرآن الكريم، وتباينت معها أساليب الجدل وأطروحاته، فيما يمكن رصده من خلال الأدوار التالية التى مرَّ بها الجدل التنصيري ضد أصالة القرآن:

أ ـ دور التأسيس (جدليات المشرقيين).

كان الشرق مهداً لنشأة الجدل التنصيري ضد أصالة القرآن الكريم، نظراً لأنه كان نقطة التقاء الإسلام الفاتح بعقائده وكتابه وشرائعه مع المسيحية الشرقية بمذاهبها المختلفة من أرثوذكسية بيزنطية حاكمة، ونسطورية مخالفة، وآريوسية توحيدية.

يضاف إلى ذلك العامل اللغوى الذى مكّن مجادلى التنصير المشرقيين من الاطلاع بيسر وسرعة على القرآن الكريم فى لغته العربية، والوقوف على ما احتواه من عقائد وشرائع وأخلاق وقصص، ومن ثمّ الشروع فى الجدل ضده، بخلاف مجادلى الغرب اللاتين الذين احتاجوا عدة قرون كى يتمكنوا من قراءة القرآن فى إحدى ترجماته.

ويمكن فى هذه المرحلة تمييز عدد من رموز الجدل التنصيري وهى:

١ ـ يوحنا الدمشقي.

يوحنا الدمشقي أحد أكبرِ آباء الكنيسة الأرثوذكسية، وبسبب قيمته الدينية الكبرى نال لقبين ذوى شأن، فلقب بـ ((القديس يوحنا))، ((يوحنا ينبوع الذهب))، وبحكم كونه فى خط الصراع الأول ضد الإسلامِ فإنه سارع بالعكوف على القرآن الكريم تفلية ونبشاً، مسخراً إتقانه العربية، وموظفاً إلمامه بالبيئة الثقافية الإسلامية التى يعيش فى رحابها ويعايش أعلى مستوياتها العلمية والسلطوية حيث كان من كبار موظفى بلاط الخلافة الأموية [1].

(١) د. جواد علي، يوحنا الدمشقي، مجلة الرسالة (مصر)، (عدد ٦١٠)، ص٢٤٣، ربيع الأول ١٣٦٤هـ – مارس ١٩٤٥م.

وقد عُدَّ يوحنا الدمشقي بالنسبة للكنيسة الشرقية مثل توما الإكويني بالنسبة للكنيسة الغربية بسبب استخدامه الدلائل العقلية إلى جانب الدينية في خدمة وتبرير الإيمان الأرثوذكسي وذلك باستخدامه الفلسفة اليونانية والهللينستية في تفسير الدين والدفاع عنه(١).

وقد انتهى يوحنا الدمشقي إلى عدة آراء جدلية ضد الإسلام والقرآن والرسول، لخّصها في كتابه (ينبوع المعرفة) الذى قسمه ثلاثة أقسام، أولها عن المنطق والفلسفة والثاني عن البدع والثالث شرح لمبادىء الدين القويم، وقد خصص الفصل (١٠٠/١٠١) في قسم البدع للجدل ضد الإسلام، وتتلخص رؤية يوحنا الدمشقي للإسلام ونبيه وكتابه فيما يلي (٢): ـــ

أ- التشكيك في كون الإسلام امتداداً لحنيفية إبراهيم، لذلك يصف المسلمين على نحو لا يخلو من الخبث، بالسرازنيين (٣) (Saracens) ويعد أول كاتب مسيحى يستخدم هذا التشويه الاتيمولوجى لأغراض الجدل العنيف ، كذلك يصف المسلمين بـــ ((المفسدين)) وهى التسمية التى ستكثر في الجدليات التالية ليوحنا.

ب ـــ يعالج الإسلام على أنه هرطقة مسيحية.

---

(١) Dena John Geanakoplos, Byzantine East and Latin West: Two Worlds Christiondom in Middle Ages and Renaissance, PP. ٢٢F. Harpertoneh Books, New York ١٩٦٦.

وللتوسع في معرفة أثر يوحنا الدمشقي، ومن ثم فضل المجادلين الشرقيين على المجادلات التنصيرية ضد الإسلام في الغرب، راجع:

Anton Pegis, "St. Anselm and the Argument of the Proslogion" , Mediaeval Studies ٢٨ (١٩٦٦) ٢٢٨- ٢٦٧, ٢٣١, ٢٣٣- ٢٣٣٤.

وفي المجلة نفسها راجع مقالة دياني ي دبرول بالعدد رقم ٣٢ عام ١٩٧٠م ، ص ١٢٨-١٣٧ .

(٢) دانييل ساهاس، جدل يوحنا الدمشقي مع الإسلام،، ص ١٢٣-١٢٨، الاجتهاد. بيروت، عدد (٢٨) السنة السابعة (١٤١٦ هـــ - ١٩٩٥ م) .

- جورج عطية، الجدل الديني المسيحي - الإسلامي في العصر الأموي وأثره في نشوء علم الكلام، ص ٤١٥- ٤١٦، كتاب المؤتمر الدولي الرابع لتاريخ بلاد الشام - جامعة اليرموك. عمان ١٩٨٩م.

- د. جواد علي، يوحنا الدمشقي، ص ٣٠٧، مجلة الرسالة. مصر. عدد (٦١٢) ربيع الآخر ١٣٦٤هـــ- مارس ١٩٤٥م.

(٣) السرازنيين نبذ بالألقاب للمسلمين إذ تعني الكلمة: الذين أبعدتهم سارة باحتقار.

جـــ ــ يقدم الإسلام على أنه مُؤْذن بالمسيح الدجّال.

د – يجعل الرسول أحد أتباع آريوس، كما يجعله على عقيدة المذهب النسطورى، وذلك بسبب تأكيده على أن المسيح مخلوق وإنسان مجرد، وذلك ما قال به آريوس ونسطور.

هــ– يحصر ما جاء به النبي فى أمرين:

أولهما: معرفته الضحلة بما قلّتْ قيمته من أسفار العهدين القديم والجديد اللذين وقع عليهما النبي مصادفة.

الثانى: ما أخذه النبي عن الراهب الأريوسى (بحيرا).

و ــ القرآن نتاج لأحلام اليقظة؛ لأن الرسول تلقاه وهو نائم.

ويمكن القول بأنه لا خلاف على ريادة الدمشقي للجدل التنصيري ضد الإسلام، كذلك يمكننا القول بأن جدليات يوحنا ضد القرآن هى الأهم فى تاريخ الجدل التنصيري ضد القرآن حيث صكَّ الدمشقي آراءه فى قوالب جدلية مكثفة أصبحت ركيزة الجدل التنصيري فى كل أدواره ومراحله التالية، فقد ردد جميع المجادلين بعده بعض أو كلّ قوالب الدمشقي: ((الإسلام هرطقة مسيحية ــ القرآن تلفيق من العهد القديم والعهد الجديد ــ تعلم النبي من بحيرا الراهب ــ المسلمون سراسنة)).

٢ ــ تيودور أبو قرة.

خليفة ليوحنا الدمشقي وقد تبع رأى أستاذه فى النبي والقرآن ، فعدّ النبي محمداً نبياً أريوسيّاً مزيّفاً [١].

٣ ــ بارشو لوميو الرهاوى.

تركزت جدلية بارشو لوميو من مدينة الرها فى أخذ النبي القرآن عن راهب

---

(١) Klaus Hock, Der Islam im Spiegel Westlicher Theologie, S: ٩٩, ١٠١, ١١٢. Deutschland ١٩٨٩.

وانظر: رشا الصباح، الإسلام والمسيحية في العصور الوسطى، ص٧٠٦، مجلة عالم الفكر، عدد (٣) المجلد الخامس عشر. وزارة الإعلام، الكويت.

نسطورى، يقول الرهاوى: ((فعندما شهد ذلك الراهب الفاسق سذاجة القوم رأى أن يمنحهم عقيدة وشريعة على غرار مذهب أريوس وغيره من ألوان الكفر والزندقة التى حرم من أجلها فراح يسطر كتابا هو الذى يسمونه القرآن، وهو شريعة الله ناثراً فيه كل ما أودع من مروق... وعند ذلك أعطى كتابه لتلميذه (مؤمد) وأبلغ أولئك البلهاء أن ذلك الكتاب أنزل على محمد من السماء حيث كان فى حفظ جبريل الملك فصدقوه فيما قال، وبذلك مكّن الراهب لذلك القانون الجديد))[1].

٤ ــ عبد المسيح الكندى.

كان عاملاً فى بلاط الخليفة المأمون وكتب ردًا على رسالة الهاشمى التى يدعوه فيها إلى الإسلام، وقد لقيت رسالة عبد المسيح الكندى عناية كبيرة من دوائر التنصير حيث نشرت أكثر من مرة لخدمة الإرساليات ليتعلموا منها أساليب مجادلة المسلمين حول القرآن والنبي[2].

٥ ــ بولس الأنطاكى.

بولس الراهب الأنطاكي وقيل إنه أحد أساقفة سوريا، إما أن يكون أسقف مدينة صيدا أو أسقف مدينة أنطاكية.

وله عدة رسائل مطوّلة ضد الإسلام[3]، أهمها رسالته إلى أحد المسلمين التى ضمَّنها خلاصة معتقد النصارى فى الإسلام وفى عقائد النصرانية، حيث يدلل على صحة الديانة النصرانية، وعلى عدم حاجة العالم إلى القرآن إذ جاءت التوارة بشريعة العدل وجاء الإنجيل بشريعة الفضل، ولا يتبقى بعدهما جديد يحتاج الناس إليه [4].

---

(١) د. محمد الفيومي، الاستشراق رسالة استعمار، ص ٣٦٤-٣٦٥، دار الفكر العربي، القاهرة ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م.

(٢) أ. ل شاتليه ، الغارة على العالم الإسلامي ، مرجع سابق ، ص ٣٠ .
- توماس أرنولد ، الدعوة إلى الإسلام ، ص ١٠٤، مكتبة النهضة المصرية ، الطبعة الثانية .
- د. قاسم السامرائي ، الاستشراق بين الموضوعية والافتعالية ، ص ٥٧ ، دار الرفاعي - الرياض ١٤٠٣هـ - ١٩٩٣.

(٣) رشا الصباح . الإسلام والمسيحية في العصور الوسطى ، ص ٨٥ ، مرجع سابق .

(٤) الرسالة منشورة بمجلة المشرق المسيحي ، العدد (١٥) من السنة السابعة ، عام ١٩٠٤.
ونسخة أخرى - تنقل عنها - نشرها لويس شيخو في كتابه : "مقالات دينية قديمة لبعض مشاهير =

وتكشف الرسالة عن معرفة جيدة ودقيقة بالقرآن ، فأكثرها نقول قرآنية احتج بها المؤلف - جدلا وشغباً - على المعتقدات النصرانية فى الصلب والتثليث والفداء وصحة الأناجيل.

وعلى الرغم من أهمية الرسالة فإن صاحبها مجهول، حتى أن لويس شيخو ظن أن بولس الأنطاكى كان يعيش فى القرن الثالث عشر الميلادى [1]، وهذا غير صحيح بالمرة، فالرسالة من أوائل الجدليات التنصرية، ولو تأمل لويس شيخو قول بولس الأنطاكى فى نص الرسالة عند حديثه عن الأناجيل: ((وأما تعظيمه لإنجيلنا وكتبنا التى فى أيدينا فقوله: ﴿**وَقَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِم بِعَيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَآتَيْنَاهُ الإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ**﴾ (المائدة/٥٠)، ثم قوله أيضا: ﴿ **فَإِن كُنتَ فِي شَكٍّ مِّمَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ فَاسْأَلِ الَّذِينَ يَقْرَؤُونَ الْكِتَابَ مِن قَبْلِكَ**﴾ (يونس/٩٤)، فثبت بهذا المعنى ما معنا ونفى عن إنجيلنا وكتبنا التهم بالتبديل لها والتغيير لما فيها بتصديقه إياها.

قلت: فإن قال قائل إن التبديل قد يجوز أن يكون بعد هذا القول.

قالوا: هذا مالا يجوز لقائل أن يقوله لأن كتبنا قد جاز عليها من نحو ستمائة سنة وصارت فى أيدى الناس يقرأونها باختلاف ألسنتهم))[2].

فالنص واضح فى تحديد زمن كتابة الرسالة بالنصف الأول من القرن السابع الميلادى ـــ الأول الهجرى.

٦ ـــ ابن كمونة اليهودى.

يُعَدُّ ابن كمونة أول مجادل تنصيرى من اليهود ضد القرآن الكريم، وقد ضمّن جدلياته ضد القرآن كتابه تنقيح الأبحاث للملل الثلاث، فعقد فصلا للقرآن الكريم أورد فيه خمسة عشر اعتراضاً على القرآن، منها ثلاثة تتعلق بأصالة القرآن الكريم : ـــ

= الكتبة النصارى" ص / ١٥-٢٦ ، طبع الآباء اليسوعيين.

(١) ليوس شيخو، مقالات دينية قديمة، ص ١، مرجع سابق.

- لويس شيخو، المخطوطات العربية لكتبة النصرانية، ص ٦٩، طبع الآباء اليسوعيين، بيروت١٩٢٤م.

(٢) رسالة بولس أسقف صيدا الراهب الأنطاكي، ص ١٧ من نشرة لويس شيخو ، مرجع سابق.

أ – لم لا يجوز أن يكون القرآن أنزل إلى نبى آخر دعا محمداً أولا إلى دينه وإلى هذا الكتاب فأخذه محمد منه وقتله[1]؟

ب– يحتمل أن محمداً طالع فى كتب من تقدمه أو سمعها فانتخب أجودها، وضمّ البعض إلى البعض[2].

جـ– كيف يستبعد سماعه ذلك من الغير وقد سافر إلى الشام قبل دعواه النبوة مرتين، وهى مملكة أهل الكتاب، وأيضا فقد كان فى العرب من أهل الكتاب جماعة فلا يبعد أنه سمع ذلك منهم[3]؟

وقد تسببت جدليات ابن كمونة ضد أصالة القرآن الكريم فى هياج العامة عليه ومحاصرة داره إلا أنه تمكن من الهرب واختفى لعدة أيام توفّى بعدها [4].

وتعد مرحلة بدايات الجدل التنصيري فى المشرق من أهم وأخطر أدوار الجدل التنصيري، إذ شكّلت قاعدة الجدل والأساس الذى بنى عليه المنصرون جدلياتهم فى مراحل التنصير وأدواره المختلفة، وبالإضافة إلى هذه الملاحظة هناك ملاحظتان أخريان جديرتان بالرصد، هما:

١– أن الجدل فى هذه المرحلة جهد فردى يتوقف على قدرات المجادل وثقافته، لكن بسبب إجادة المجادلين للغة القرآن الكريم، فقد جاءت مجادلاتهم مكتظة باستشهادات مغلوطة من النصوص القرآنية مما أعطى لها نفوذاً روحيا وفكريا وعقائديا على التراث الجدلى التنصيري بأكمله، ولا يخفى ـ فى هذا الشأن ـ المكانة المرموقة التى تبوّأتها جدليات يوحنا الدمشقي، الذى امتُدح بأنه لم يأت برأى

(١) سعد بن منصور بن كمونة ، تنقيح الأبحاث للملل الثلاث، ص ٧٠، نشرة موسى برلمان ، مطبوعات جامعة كاليفورنيا ١٩٦٧م.

(٢) السابق.

(٣) السابق ص ٨٩.

(٤) ابن الفوطي، الحوادث الجامعة والتجارب النافعة في المائة السابعة، ص ٤٤١–٤٤٢، بتحقيق مصطفى جواد، بغداد ١٩٣٢م .

وانظر: الدكتور سعد العتيبي، نفوذ اليهود في عهد المغول الإيلخانيين، ص ٥١٨– ٥١٩، مجلة الدرعية (عدد ٦، ٧) ربيع الآخر – رجب ١٤٢٠هـ / أغسطس، نوفمبر ١٩٩٩ م.

أصيل إلا فى الإسلام [1]، وجدليات بولس الأنطاكى التى تلقتها الأوساط التنصيرية بالتقدير لما تمتاز به فى نظرهم من ألفاظ جيدة وآراء سديدة صائبة وبراهين واستدلالات وحجج جلية [2]، إلى حد دعوة بعضهم إلى الاكتفاء بها فى بيان موقف النصرانية من الإسلام [3].

وكذلك جدل عبد المسيح الكندى فى رسالته الشهيرة التى أصبحت عمدة العمل التنصيري فى مجال الإرساليات [4].

٢- عقم الجدل الذى تمثله تلك المرحلة، إذ إن المجادلين على اختلاف مشاربهم لم يزيدوا على تكرار الشبهات الجدلية لمشركة مكة، بعد أن قاموا بإحلال رموز يهودية ـ نصرانية محل رموز المشركين فى الدعاوى التالية:

الدعوى الأولى: القرآن قول شاعر بإلهام شيطان الشعر، حيث كان العرب يتوهمون أن لكل شاعر شيطاناً من الجن يقول الشعر على لسانه [5]، وهذا ما نفاه الله عن القرآن فى قوله تعالى: ﴿ **وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلاً مَا تُؤْمِنُونَ** ﴾ **(الحاقة/٤١)**، وفى قوله تعالى: ﴿ **وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ** ﴾ **(التكوير/٢٥)**.

فاستبدل مجادلو التنصير شيطان الشعر الجاهلى، وأحلوا محله الراهب النسطورى الفاسق الملحد كما تصور بارشولوميو الرهاوى، أو أحلام اليقظة كما اقترح يوحنا الدمشقي.

الدعوى الثانية: بشرية مصدر القرآن.

زعم المشركون أن الرسول: ﴿ **إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُّبِينٌ** ﴾ **(النحل/١٠٣)**.

فجعل الدمشقي وتلميذه أبو قرة من هذا البشر هو بحيرا الراهب الأريوسى،

---

(١) بابا دوبولس ، تاريخ كنيسة أنطاكية ، ص ٥٢٨ ، منشورات النور ، بيروت ١٩٨٤ م .

- لويس غرديه – جورج قنواتي ، فلسفة الفكر الديني (٤٣/٢) دار العلم للملايين ، ط ١، بيروت ١٩٦٧م .

(٢) لويس شيخو ، مقالات دينية قديمة ، ص ١ ، مرجع سابق .

(٣) ابن العسال ، الصحائح في جواب النصائح ، ص ٤٠ ، القاهرة سنة ١٦٤٣ قبطية .

(٤) أ. ل شاتليه ، الغارة على العالم الإسلامي ، ص ٣٠ / مرجع سابق .

(٥) د. حسن طبل، حول الإعجاز البلاغي للقرآن، ص١١٣، مكتبة الإيمان، ط١، مصر ١٤٢٠ هـ – ١٩٩٩م.

ولما زعم المشركون بجماعية مصدر تعليم الرسول القرآن: ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَٰذَا إِلَّا إِفْكٌ افْتَرَاهُ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ ﴾ (الفرقان/٤)، فقد زاوج ابن كمونة فى احتمالاته وأرجحها بين بحيرا الراهب أو أحد أهل الكتاب ممن كانوا بمكة أو الشام.

الدعوى الثالثة: القرآن من أساطير الأولين. قال تعالى: ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَٰذَا إِلَّا إِفْكٌ افْتَرَاهُ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ * وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَىٰ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴾ (الفرقان/ ٤ – ٥).

ففسر مجادلو المشرق كلهم أساطير الأولين بأنها قصص التوراة والإنجيل .

ب ــ الجدل البيزنطى

البيزنطيون هم أول من كتب من الأوربيين ضد الإسلام والقرآن[1].

وكان أول هجوم مفصل على القرآن فى أعمال ((نيكتياس البيزنطى)) فى مقدمة كتابه ((نقد الأكاذيب الموجودة فى كتاب العرب المحمديين))، أما أكبر هجوم جدلى ضد القرآن فهو ما قام به امبراطور بيزنطة جان كنتا كوزين فى كتابيه ((ضد تمجيد الملة المحمدية))، ((ضد الصلوات والتراتيل المحمدية)) وكان هذا الهجوم باللغة اليونانية [2].

جـ ــ مرحلة الأندلس

كانت فترة الحكم الإسلامى للأندلس عصر ازدهار علمى وحضارى فى مختلف الجوانب، وفيها ارتفع صوت الحرية الدينية والنقاش حول قضايا الأديان والعقائد، وقد استغل المنصرون ذلك فصنفوا مؤلفات جدلية كثيرة ضد الإسلام وتصدى لهم علماء الإسلام رداً وتفنيداً، مثل: ابن حزم والقرطبى وأبو الوليد الباجى... إلخ.

---

(١)عبد اللطيف الطيباوي، المستشرقون الناطقون بالإنجليزية، ص ٥١٧، الترجمة العربية الملحقة بكتاب الفكر الإسلامي الحديث . د. محمد البهي . مكتبة وهبة ، ط ٨ ، ١٩٧٥ م .

– محمد الفيومي ، الاستشراق رسالة استعمار ، ص ٣٧٣ ، مرجع سابق .

(٢) عبد الرحمن بدوي ، دفاع عن القرآن ضد منتقديه ، ص ٥ ، دار الجليل ، ط١، بترجمة كمال جاد الله . القاهرة ١٩٩٧ م .

وتكمن أهمية هذا الدور من أدوار الجدل التنصيري ضد القرآن فى أنه كان معبراً انتقلت خلاله الجدليات التنصيرية إلى الغرب .

وأبرز الأمثلة على ذلك كتاب (نقض الفقهاء Contrarietas elfolica) لأحد النصارى الأسبان، الذى كان له تأثير بالغ على ريكولدو دى مونت كروس الحانق على الإسلام، وقد أفاد كروس من هذا الكتاب فى تصنيف أشهر كتبه (تفنيد القرآن (Canfutatia Alcorani الذي تُيِّم به مارتن لوثر وسارع إلى ترجمته للألمانية عام ١٥٤٢م [١].

د- مرحلة الحروب الصليبية (٤٩١هـ/١٠٨٩م-٦٩٠هـ/١٢٩١م)

أدت الحروب الصليبية بخطب البابا أوربانوس الثانى فى كليرمون فيران Clermont – Ferrand بفرنسا، وإعلانه الحرب على الإسلام والمسلمين ووعده المشاركين فيها بالفوز ببركة الكنيسة وبالغفران الكامل لخطاياهم مكافأة لهم على حمل السلاح تحت راية الصليب [٢].

وكان بطرس الناسك ذا أثر كبير فى تعبئة العامة من أجل النهوض بأعباء القتال والحملات الصليبية [٣].

ولما كانت الحروب الصليبية التى امتدت قرنين من الزمان ((كانت لتدمير الإسلام)) [٤]، فإن عهدها يعد لدى المنصرين ((أروع العهود فى العصور الوسطى كلها)) [٥].

وقد استمرت الحروب الصليبية على المستوى الدولى وفى ذلك ـ كما يقول روم لاندرو ـ برهان قاطع على أن كرّ السنين لم يخفف إلا قليلا من أعمال اللاتسامح التى قام بها الصليبيون باسم الله [٦].

---

(١) قاسم السامرائي ، الاستشراق به الموضوعية والافتعالية، ص ٦١ مرجع سابق.

(٢) روم لاندرو ، الإسلام والعرب ، ص ١٢٢ ، دار العلم للملايين ، ط ٢ ، بيروت ١٩٧٧ م .

(٣) السابق ، ١٢٤ .

(٤) فروخ – الخالدي ، التبشير والاستعمار ، ص ١١٥ ، مرجع السابق .

(٥) Julius Richter, Ahistory of Protestant Missions in The Near East, P. ١٤, New York ١٩١٠.

(٦) روم لاندرو ، الإسلام والعرب ، ص ١٣١ – ١٣٢ ، مرجع سابق .

وتزامن مع عمليات الإبادة الجماعية التى مارسها الصليبيون ضد المسلمين حركة جدل واسعة استهدفت أصالة القرآن الكريم على يد عدد من الجدليين المشهورين فى العصور الوسطى، لكن أبرز ما يميز تلك المرحلة هو كونها إرهاصاً بظهور التنصير المؤسَّسي عقب نهاية حرب الفرسان حاملى السيف والصليب ، كذلك فإن أهم نتاج هذه المرحلة هو ترجمة القرآن الكريم إلى اللغة اللاتينية تلك الترجمة التى ستكون محل دراسة موسعة عند عرض مسالك الجدل التنصيري ضد القرآن.

وأهم الرموز الجدلية فى هذه المرحلة، هم:

١ ـ بطرس المحترم (١٠٩٢ ـ ١١٥٦م)

بطرس المحترم هو أول جدليّ ضد الإسلام فى الكنيسة الغربية كما يقول المنصِّر إديسون [1]، وهو راهب ولاهوتيّ رئيس لدير ((كلونى)) الذى سيلعب دوراً كبيراً فى حركة الجدل التنصيري ضد أصالة القرآن .

وقد قام برحلة إلى الأندلس، ألّف عقب عودته منها كتاباً فى الرد على الإسلام والقرآن عام ١١٤٣م، وأمر بترجمة القرآن إلى اللغة اللاتينية [2].

٢ - روجر بيكون الراهب الفرنسيسكانى (١٢١٤ - ١٢٩٤م)

وجّه بيكون رسالة إلى البابا اكليمنص الرابع سنة ١٢٦٦م ضمّنها دعوته إلى[3]:

- وجوب إدخال اللغات الأجنبية إلى مناهج الدراسات الجامعية وخاصة اللغة العربية للإفادة منها كوسيلة للتبشير ضد الإسلام.
- دراسة أحوال المسلمين للوقوف على الطرق التى يمكن النفاذ منها إلى هدم عقيدتهم وتقويضها.

٣ - وليم الطرابلسي (١٢٧٣م).

صنف جدلا ضد أصالة القرآن، جاء فيه: ((بعد أن مات (محمد) أراد

---

(١) قاسم السامرائي ، مرجع سابق ، ص ٧٨ .

(٢) Trevor – Roper, Hugh, The Rise of Christian Europe, P ١٤٥, Oslo- London ١٩٧٨.

(٣) نجيب العقيقي ، المستشرقون (١٢٠/١) ، دار المعارف ، ط ٤ ، مصر .

أنصاره أن يعالجوا العقيدة والشريعة معالجة شاملة قائمة على تعاليمه، فلما تبينوا أن الرجل الذى نيط به العمل لم يرزق الكفاية اللازمة لأداء ذلك على الوجه الأكمل طلبوا إلى اليهود والمسيحيين الذين أسلموا أن يساعدوه، وعند ذلك رأى هؤلاء من الأفضل أن ينتقوا فقرات مناسبة من العهد القديم والجديد، وأن يمزجوها بالكتاب كيفما اتفق، وبذا أصبح الكتاب على عظيم من الرونق والجمال المنقول من الكتب المنزلة ما بين مسيحية ويهودية)) (١).

٤ – ريموند مارتيني (١٢٢٠ ــ ١٢٨٤م)

راهب مبشر دومينيكانى أسبانى ، تبحر فى دراسة القرآن، واجتهد فى الجدل ضده، فألف كتاباً بعنوان: ((الخلاصة ضد القرآن))، وبلغت به رغبته فى تفنيد القرآن أن حاول معارضته بعد أن علم أنه معجزة النبي، فوضع سورة غاية فى السخافة والسقامة(٢): ((بسم الله الغفور الرحيم، أعارض قرآن مَنْ آخر اسمه الدال وأوله الميم، بلسان فصيح عربى مبين، لا يمنعنى منه سيف ولا سكين، إذ قال لى بلسان الإلهام سيد المرسلين: قل المعجزة لا شريك فيها لرب العالمين وفى الفصاحة يشترك كثير كثيرين يغلب فيها أحيانا الصالح الطالح والكافر المؤمنين، فليست الفصاحة ولو فى النهاية آية ولا معجزة اللهم إلا عند الذين أوطاهم عشوة معلم مجنون حتى قالوا عنه خاتم الأنبياء وسيد المرسلين مع أنه بإقراره فى سورة الأحقاف لم يدر قط ما يُفْعل به ولا بتباعه أجمعين أكتعين، فقل يامن اسمه/ رمند ولقبه مرتِين: آه، لقوم يقبل الباطل والخرافات والترهات كأنها اليقين، وإن كنتم فى شك مما ألهمنا إليه عبدنا يامعاشر المسلمين فأتوا بحلٍّ هذه الحجة، وبمثل هذه السورة وادعوا لذلك إخوانكم من الجن إن كنتم مهتدين. فإن لم تقدروا، ولن تقدروا فقد زهق الباطل ، وانتقام اليقين والحمد والشكر لله آمين، آمين)) (٣).

وبصرف النظر عن مدى سقم محاولة مارتيني إلا أنها تكشف عن قفزة كبيرة وتطور فى مستوى الجدل التنصيري فى عهد الحروب الصليبية، وانتقاله من

---

(١) محمد الفيومي ، الاستشراق رسالة استعمار ، ص ٣٦٨ .

(٢) عبد الرحمن بدوي، موسوعة المستشرقين، ص٢١٣– ٢١٥، دار العلم للملايين، ط٢، بيروت ١٩٨٩م.

(٣) قاسم السامرائي ، مرجع سابق ، ص ٩٠ .

مجرد الطعن فى أصالة القرآن إلى محاولة المعارضة، وفى هذا دليل كاف على عدم دقة ما ذهب إليه الدكتور عبد الرحمن بدوى من أن الجدل ضد القرآن بدأ فى المسيحية الغربية على يد نيقولا دى كوزا (١٤٠١ ــ ١٤٦٤م) (١).

هـــ - مرحلة التنصير المؤسَّسي

بدأت هذه المرحلة إثر فشل الحروب الصليبية فى تدمير الإسلام، فعندما خابت دول أوربا فى الحروب الصليبية الأولى من طريق السيف أرادت أن تثير على المسلمين حربا صليبية جديدة من طريق التبشير (٢).

وقد جاء هذا التحول بناء على وصية القديس لويس التاسع ملك فرنسا وقائد الحملة الصليبية السابقة التى انتهت بالفشل ووقوع لويس نفسه فى الأسر والسجن فى مدينة المنصورة بمصر.

وتلفت الوصية الأنظار إلى صعوبة قهر المسلمين عن طريق القوة بسبب روح الجهاد لديهم، وتوصى بتلمس طريق الغزو الفكرى الهادف إلى دحض العقائد الإسلامية وتزييفها (٣).

ويمكن القول بأن بطل هذه المرحلة بلا منازع هو(ريموند لول Raymond Lull) وهو مبشر حانق على الإسلام، كان حلم حياته هدم الإسلام، وكرّس حياته لمهمة تنصير المسلمين، وسعى جاهداً لتحقيق هدفه من طريقين (٤):

- طريق شخصى بتصنيف الكتب الجدلية ضد الإسلام والقرآن.

- طريق مؤسّسي، بإقناع ملك ميورقة بإنشاء كلية الثالوث المقدس لإعداد المبشرين للعمل ضد الإسلام، وفى الغرب بتقديم ثلاث عرائض إلى البابا كليمان

---

(١) عبد الرحمن بدوي ، دفاع عن القرآن ، ص ٥ .

(٢) Julius Richter, Ahistory of the Protestant Missions in the Near East , P. ١٤.

(٣) علي جريشة – محمد الزبيق ، أساليب الغزو الفكري ، ص ٢١ ، ط ٢ ، دار الاعتصام . مصر.

(٤) ارنست رينان، ابن رشد والرشدية ، عادل زعيتر ، ص ٢٦٧ القاهرة ١٩٥٧م.

– يوهان فوك ، تاريخ حركة الاستشراق ، ص ٢٦-٢٧، بترجمة عمر العالم ، ط ١، دار قتيبة ، دمشق – بيروت ١٤١٧ هـــ- ١٩٩٦م .

– سعيد عاشور ، الحركة الصليبية (١٢٧٩/٢) ، مكتبة الأنجلو المصرية ، ج ١ ، القاهرة ١٩٦٣م.

الخامس لإنشاء كلية لدراسة العربية، وعدد من كراسى تعليم اللغة العربية فى الجامعات المختلفة كأحد أهم وسائل الجدل ضد الإسلام والقرآن وأفضل الوسائل لتنصير المسلمين.

وبالفعل نجحت مساعى ريموند لول المؤسَّسية، فقد أمر يعقوب الأول ملك ميورقة بإنشاء كلية الثالوث المقدس لإعداد المبشرين وقام لول نفسه بإعدادهم فيها[1]. وقرّر مجمع فيينا الكنسي (١٣١١م) إنشاء خمسة كراسى لتعليم اللغة العربية فى أكبر خمس جامعات فى أوربا (باريس، أكسفورد – بولونيا – سلمنكا – جامعة الإدارة المركزية البابوية) وعيّن للتدريس فيها مدرسين كاثوليكيين[2].

ويعد هذا القرار الكنسىّ البداية الرسمية للتنصير المؤسَّسي، إذ أثمر عن ظهور أكبر مؤسستين تنصيريتين للعمل ضد الإسلام والقرآن حتى اليوم، وهما:

المؤسسة الأولى: التبشير كانت كلية الثالوث المقدس القاعدة التى انطلق منها التنصير المؤسَّسي فهى أولى لبنات مؤسسة التبشير ضد الإسلام، وكان ريفوند لول ليس أول معلم فيها فقط، بل كان ((أول من مارس التبشير ضد الإسلام، فجال فى بلاده وناقش علماءه))[3].

ولما كان الرهبان ورجال الدين النصارى يؤلفون الطبقة المتعلمة فى أوربا ؛ فكان من الطبيعى أن يقودوا العمل التبشيرى ضد الإسلام نظراً لمعرفتهم لغات المسلمين، فأصبحت الكنائس والأديرة مرتكزات وقواعد للعمل التبشيرى لتخريج أهل الجدل الذين يجادلون ضد الإسلام والقرآن[4].

ومن أوائل المبشرين الرهبان الجدليين ضد القرآن الراهب الدومنيكاتى (ريكولدو دى مونت كروس) (١٢٤٣ – ١٣٢٠م) الذى بعثه البابا نقولا الرابع إلى الشرق، فتجول مبشراً فى فلسطين ومجادلا باللغة العربية ضد القرآن، ثم ألّف أهم

---

(١) سعيد عاشور ، الحركة الصليبية (١٢٧٩/٢) ، مكتبة الأنجلو المصرية ، ج ١، القاهرة ١٩٦٣م.
– يوهان فوك ، تاريخ حركة الاستشراق ، ص ٢٦-٢٧، مرجع سابق .

(٢) وهان فوك ، ص ٣١ ، مرجع سابق .

(٣) أ. ل . شاتليه ، الغارة على العالم الإسلامي ، ص ١٢-١٣ . مرجع سابق .

(٤) نجيب العقيقي ، المستشرقون (١ / ١٠٤) ، مرجع سابق .

الكتب الجدلية ضد القرآن بعنوان:

(الجدل ضد المسلمين والقرآن) Disputatio Contra Saracenos et Alchoranem.[1]

ثم كتب الكاردينال نيقولا دى كوزا (١٤٠١ ــ ١٤٦٤) بتوجيه من البابا بيوس الثانى:

١ ــ نقد وتفنيد الإسلام.

٢ ــ غربلة القرآن [2].

وقام عدد من الآباء الدومينيكانيين والجزويت بتصنيف جدليات ضد القرآن منهم[3]:

- دينيس: (حول الخداع المحمدى) ١٥٣٣م.
- ألفونس سينا: (التحصين الإيمانى) ١٤٩١م.
- جان دى تيريكريماتا: (بحث للرد على الأخطاء الرئيسية الخادعة لمحمد) ١٦٠٦م.
- لويس فييف: (الإيمان المسيحى الحقيقى ضد المحمديين) ١٥٤٣ م.
- ميشيل نان: (الكنيسة الرومانية اليونانية فى الشكل والمضمون للدين المسيحى ضد القرآن والقرآنيين دفاعاً وبرهاناً) ١٦٨٠م.
- لودو فيجو مرتشي: (مقدمة فى دحض القرآن) ١٦٩٨م.

وبرز من المبشرين الجدليين ضد القرآن فى العصر الحديث كل من:

١- هنرى لامانس، مبشر يسوعى وراهب متعصب خلف لويس شيخو فى إدارة مجلة المشرق، وإدارة المجلة التبشيرية (البشير)، وقد أودع جدليته ضد القرآن فى مقاله: ((هل كان محمد أميناً؟))، وفى كتابه ((الإسلام: عقائد ونظم)) [4].

---

(١) عبد الرحمن بدوي ، موسوعة المستشرقين ، ص ٢١١، دار العلم للملايين . بيروت ١٩٨٩م.

(٢) عبد الرحمن بدوي ، دفاع عن القرآن ، ص ٥ ، مرجع سابق .

(٣) السابق ، ص ٦ .

(٤) عبد الرحمن بدوي، موسوعة المستشرقين، ص ٣٤٨ – ٣٤٩ .

٢- وليم موير (١٨١٩- ١٩٠٥م)، مبشر انجليزى أحد أعضاء البعثة التبشيرية الإنجليزية فى شمال الهند، كتب جدليتين ضد القرآن :

ـ ((القرآن: تأليفه وتعاليمه)) ١٨٧٧م .

ـ ((الجدال مع الإسلام)) ٢١٨٩٧م [١].

٣- ريتشارد بل، أحد رجال الدين المسيحى وصرف سنين كثيرة فى دراسة القرآن [٢]، وله فى الجدل ضد القرآن عدة كتب ومقالات تبرز التأثير المسيحي على النبي، وأهمها مقدمته لترجمة القرآن التى ضمّنها جدليته الأساسية ضد أصالة القرآن الكريم.

٤- سانت كلير تسدال، قسيس مبشر فى إيران [٣]، صنف أعنف وأخطر جدلية ضد أصالة القرآن الكريم: (المصادر الأصلية للقرآن) وكتبها بالألمانية، ثم ترجمها المبشر وليم موير إلى الإنجليزية[٤].

٥ - آرثر جيفرى، من محررى مجلة العالم الإسلامى التبشيرية وأبرز كتّابها وقد بُعث للعمل فى الجامعة الأمريكية فى بيروت، ثم للتبشير فى أمريكا اللاتينية، ثم إلى مدرسة اللغات الشرقية بالقاهرة.

وله عدة جدليات ضد القرآن الكريم وأصالته نشر بعضها فى مجلة العالم الإسلامى ١٩٣٥م، ونشر بعضها فى كتابه ((مصادر تاريخ القرآن))، وأودع بقيتها فى مقدمة تحقيقه لكتاب المصاحف لأبى بكر بن أبى داود [٥].

٦- آرينز، مبشر، له جدلية بعنوان: ((عناصر نصرانية فى القرآن)) [٦].

٧- كينث كراج، خليفة زويمر فى توجيه النشاط التبشيرى فى منطقة الشرق

---

(١) عبد الرحمن بدوي ، موسوعة المستشرقين ، ص ٤٠٤ - ٤٠٥، مرجع سابق.

(٢) العقيقي ، المستشرقون (٢ / ٩٣ - ٩٤) .

(٣) أ. ل . شاتليه ، الغارة على العالم الإسلامي ، ص ٣٦ .

(٤) Saint Clair Tisdall, the Original Sources of the Qur'an, Landon, ١٩٠٥.

(٥) إسماعيل سالم عبد العالم، المستشرقون والقرآن (٢٥/١) سلسلة دعوة الحق- عن رابطة العالم الإسلامي، العدد ١٠٤، مكة المكرمة ١٤١٠هـ- ١٩٩٠م، وقد قام- رحمه الله - بالرد التفصيلي على مقدمة جيفري لكتاب المصاحف.

(٦) العقيقي ، المستشرقون (٣ / ٥٣٧) .

الأوسط، ورئيس تحرير مجلة العالم الإسلامى التبشيرية، ورئيس مؤتمر التبشير المنعقد فى أكسفورد عام (١٩٨٦)، له جدليتان ضد أصالة القرآن، طبعتا أكثر من مرة لمساعدة وعاظ التنصير، وهما: ((نداء المئذنة))، ((القبة والصخرة)).

٨- بول بوبارد، راهب فرنسى معاصر أشرف على إعداد قاموس للأديان ((Dictionnair e des Religians)) نشرت طبعته الأولى عام ١٩٨٤م، وقامت على طبعه ((المنشورات الجامعية الفرنسية))، وأنجز أغلب مواده أساتذة المعهد الكاثوليكى بباريس.

وقد ردد المبشرون القائمون على الكتابة فيما يخص أصالة القرآن الجدليات القديمة نفسها، بإرجاع القرآن إلى الأصول التوراتية والإنجيلية التى وقف عليها النبي، مستدلين على ذلك بالعناصر المشتركة بين القرآن وكتب العهدين [١].

المؤسسة الثانية: الاستشراق

بدأ الاستشراق بقانون كنسى حدد مهمة المؤسسة الاستشراقية فى التمهيد والإعداد لارتداد العرب إلى المسيحية [٢].

ولذلك نصّ قرار إنشاء كرسى اللغة العربية بجامعة كمبردج عام ١٦٣٦ م – مثلا – على أن الكرسى أنشيء: ((بهدف توسيع حدود الكنيسة ونشر المسيحية بين المسلمين الذين يعيشون فى الظلمات)) [٣].

ولم تقتصر جوانب التنصير فى المؤسسة الاستشراقية على الهدف وسلطة الإنشاء، بل تعدتها إلى الممارسة والتنظيم .

---

(١) محمد عبد الواحد عسيري، صورة الإسلام والمسلمين في قاموس الأديان ، ص ٢٢-٢٤، بحث مقدم إلى ندوة مصادر المعلومات في العالم الإسلامي المنعقدة في الرياض (٢٢-٢٥ رجب ١٤٢٠هـ / ٣١ أكتوبر – ٣ نوفمبر ١٩٩٩م).

(٢) Francis Dvornilk, The Ecumenical Concils, PP. ٦٥- ٦٦, Hawthorn Books. New York ١٩٦١

(٣) عبد اللطيف طيباوي، المستشرقون الناطقون بالإنجليزية ، ص ٤٧٧ ، مرجع سابق .

فقد كان الرهبان فى طليعة المستشرقين[1]، ولازالت لهم اليد العليا فى العصر الحديث حيث يزيد عددهم عن مائة راهب من: (البندكتيون، الفرنسيسكان، الكيوشيون، الكرمليون، الدومنيكان، البيض، اليسوعيين)[2].

أما التنظيم والإعداد فقد اضطلع به الفاتيكان، واصطنع للمؤسسة الاستشراقية النفوذ لدى السلطات الحاكمة واضطلع بوسائل التمويل [3].

وربما كانت الطبيعة التنصيرية الخالصة للمؤسسة الاستشراقية بعناصرها الأربعة: (سلطة الإنشاء، والهدف، والتنظيم، والممارسة)، تسبب الالتباس فى أمر المؤسستين، وتحول فى كثير من الأحيان دون التفرقة بين العمل التبشيري والعمل الاستشراقي.

لكن على الرغم من الطبيعة التنصيرية المشتركة بعناصرها الأربعة بين المؤسسة التبشيرية والمؤسسة الاستشراقية، فهناك فوارق بين المؤسستين تتمثل فى أداة العمل التنصيري ومجاله، حيث إن: ((الاستشراق أخذ صورة البحث العلمى وادعى لبحثه الطابع العلمي الأكاديمى، أما دعوة التبشير فقد بقيت فى حدود مظاهر العقلية العامة، أى العقلية الشعبية، وبينما استخدم الاستشراق الكتاب والمقال فى المجلات العلمية وكرسي التدريس فى الجامعة، والمناقشة فى المؤتمرات العلمية العامة، سلك التبشير طريق التعليم المدرسي فى دور الحضانة ودور الأطفال والمراحل الابتدائية والثانوية للذكور والإناث على السواء، كما سلك سبيل العمل الخيري الظاهري فى المستشفيات ودور الضيافة والملاجيء للكبار ودور اليتامى واللقطاء)) [4].

وهذا يعنى أن مؤسسة التبشير استهدفت تنصير العامة وذوى الحاجات بما يناسبهما من وسائل واختص الاستشراق بتنصير النخبة والمثقفين، بوسائط علمية وفكرية.

وهناك فارق آخر يمكن رصده، يتمثل فى المشاركة اليهودية فى نشاط

---

(١) العقيقي ، المستشرقون (٣ / ٢٤٩) مرجع سابق .

(٢) على النملة ، الاستشراق في الأدبيات العربية ، ص ٧٦، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية ، ط ١ ، ١٤١٤ هـ ، ١٩٩٣م .

(٣) العقيقي ، المستشرقون (١ / ١٠٤) مرجع سابق .

(٤) محمد البهي، المبشرون والمستشرقون في موقفهم من الإسلام، ص ٢، الإدارة العامة للثقافة – مطبعة الأزهر. القاهرة، د. ت. الفكر الإسلامي، ص٤٥٩ – ٤٦٠، ط ٨، مكتبة وهبة القاهرة ١٩٧٥م.

المؤسستين: ((حيث شارك اليهود فى الاستشراق بنسبة كبيرة وفعالة لا يمكن مقارنتها بالمشاركة الضئيلة فى النشاط التبشيرى وإن كان الدور التبشيرى الخطير الذى مارسه ((زويمر)): حركياً وتنظيمياً وجدلياً لا يمكن إنكاره)).

أما فيما يخص أصالة القرآن الكريم والتكييف العقائدى للإسلام، فإن المؤسستين تتفقان وتتحدان فى استلهام وتكرار التراث التنصيري للمراحل السابقة فى أطروحاته الأساسية:

- الإسلام هرطقة مسيحية.
- محمد نبى مزيف لا أخلاقى.
- القرآن تلفيق من كتب العهدين القديم والجديد.

لذلك فإنه كما يقول إدوارد سعيد ساخراً: سيكون مستشرقاً بحاثة ومختصاً ألمعياً ذلقاً فى أيامنا هذه من يشير إلى الإسلام على أنه هرطقة آرية من الدرجة الثانية، وأن محمداً نبي لا أخلاقي، وأنه ألّف كتابه معتمداً على كتب التوراة والإنجيل[1].

وقد بلغ الجدل التنصيري ضد أصالة القرآن الكريم ذروته فى هذه المرحلة بفضل الوسائل والإمكانات التى توفرت للمؤسسة الاستشراقية، ومن أبرز الجدليات الاستشراقية ضد أصالة القرآن الكريم [2]:

- **جدليات ذات نزعة يهودية:**

١- (الحاخام) إبراهام جيجر، ماذا أخذ محمد من النصوص اليهودية؟، بون ١٨٣٣م، ط ٢ ليبزج ١٩٠٢م، إعادة طبع ١٩٦٩م.

٢- هيرشفيلد:

ـ العناصر اليهودية فى القرآن، برلين ١٨٧٨م.

ـ مقالة فى شرح القرآن، ليبزج ١٨٨٦م.

---

(١) إدوارد سعيد ، الاستشراق ، ص ٤٤ ، ٩٤ .

(٢) راجع : إداورد سعيد ، الاستشراق ، مرجع سابق .

ـ أبحاث جديدة فى فهم وتفسير القرآن، لندن ١٩٠٢م.

٣- سيدرسكي، أصل الأساطير الإسلامية فى القرآن، باريس ١٩٣٢م.

٤- هورفيتز، بحوث قرآنية، برلين ـ ليبزج ١٩٢٦م.

٥- إسرائيل شابيرو، الحكايات التوراتية فى أجزاء القرآن، برلين ١٩٠٧م.

ـ عناصر من الهجادة فى قصص القرآن. ليبزج ١٩٠٧م.

٦- فايل، التوارة فى القرآن ١٨٣٥م.

٧- جولدزيهر، العقيدة والشريعة فى الإسلام، ترجمة محمد يوسف موسى وزميله، القاهرة (١٩٤٨م).

٨ - س. د. جويتين، اليهود والعرب: علاقاتهم عبر التاريخ. نيويورك (١٩٥٥م).

٩- بيرنات هيللر، عناصر يهودية فى مصطلحات القرآن الدينية، (١٩٨٢م).

١٠- جوزيف هاليفى، السامريون فى القرآن (المجلة الآسيوية ١٩٠٨م).

١١- ج فانسبرف، المصادر وطرق لتفسير الكتاب المقدس. طبع بتمويل من جامعة لندن عام ١٩٧٢م.

١٢- ميشائيل كوك، محمد، مطابع جامعة أكسفورد ١٩٨٧م.

١٣- رودى بارت، محمد والقرآن: تاريخ النبى العربى ودعوته، نشر دار كول هامر ضمن سلسلة أربان الألمانية عام ١٩٥٧م. وأعيد طبعه ١٩٦٦م.

جدليات ذات توجه مسيحى.

١ ـ ج. بوستل، توافق القرآن والإنجيل، (١٥٤٣م).

٢- كراديفو، راهب بحيرا والقرآن، (١٨٩٨م).

٣- فلهلم رودلف، صلة القرآن باليهودية والمسيحية، بترجمة عصام الدين حفنى ناصف، دار الطليعة. بيروت ١٩٧٤م.

٤- جون بيرتون، جمع القرآن، جامعة كمبردج ١٩٧٧م.

٥- ريجى بلاشير، القرآن، بترجمة رضا سعادة وإشراف الأب فريد جبر، دار الطليعة. بيروت ١٩٧٤م.

٦- وولكر باسيلى، طابع الإنجيل فى القرآن، (١٩٣١م).

٧- بوم شتارك، مذهب الطبيعة الواحدة فى القرآن. مجلة المشرق المسيحى ١٩٥٣م.

٨- سترشتين، القرآن: الإنجيل المحمدى، (١٩١٨م).

٩- ريتشارد بيل، أصل القرآن فى بيئته المسيحية، لندن ١٩٢٦م، وأعيد طبعه عام ١٩٦٨م.

١٠- تور أندريا، أصل الإسلام والمسيحية، أوسلو ١٩٢٦م.

ويلاحظ أن مرحلة التنصير المؤسَّسي كانت أكثر المراحل وأبعدها أثراً فى الجدل ضد أصالة القرآن الكريم، وذلك لطول فترتها الزمنية منذ بدايتها ١٣١١م حتى اليوم، ولضخامة الجيش العامل فى مؤسستيها: التبشير والاستشراق وكذلك عِظَم الامكانات المسخرة لعمل المؤسستين.

ويكفى دليلا على ذلك الطابور الخامس من المثقفين الذين أفرزتهم المرحلة من الباحثين المسلمين (الجالسين تحت أقدام المستشرقين كما وصفهم إدوارد سعيد)، الذين ردّدوا الأطروحات التنصيرية نفسها، وكان لهم أثر بالغ على محيط ثقافى واسع، مثل: طه حسين بكتابه ((فى الشعر الجاهلى))، محمد خلف الله بكتابه ((الفن القصصى فى القرآن الكريم))، محمد أركون ((الفكر العربي)) وبحثه المنشور عام ١٩٧٧: ((مسألة صحة نسبة القرآن إلى الله))، نصر أبو زيد بكتابه ((مفهوم النص)).

مسالك الجدل التنصيري ضد أصالة القرآن الكريم

سلك المنصرون فى جدلياتهم ضد أصالة القرآن الكريم ثلاثة مسالك سعوا من خلالها إلى نفى ربانية مصدر القرآن ، وهى : —

المسلك الأول: ترجمة القرآن

كانت ترجمة القرآن هى السلاح الذى سلّه مجادلو التنصير لمحو القرآن أو منعه من الغلبة أو تفعيل دوره فى الحفاظ على الذات الإسلامية.

إذ إن ترجمة القرآن الكريم إلى اللغات الأجنبية لم تتم بقصد المعرفة الخالصة أو الفهم المجرد، أو التفاعل والتكامل مع الغير، بل إنها تمت بقصد معرفة المواطن التى يمكن الوثوب منها عليه، أو البحث عما يمكن أن يكون نقاط ضعف يتم التركيز عليها لقهر ((الآخر)) وهزيمته والسيطرة عليه(١).

يقول يوهان فوك فى تأريخه للدراسات العربية فى أوربا: ((لقد كانت فكرة التبشير هى الدافع الحقيقى خلف انشغال الكنيسة بترجمة القرآن)) (٢).

ويضيف أن: هذه الفكرة التى أدت إلى ترجمة القرآن قد شهدت توسعاً من خلال تنقلات الوعاظ الدينيين لطائفتى الدومنيكان والفرنسيسكان (٣).

ويظهر هذا بجلاء من خلال أمور:

أولها: أن أول نصوص مترجمة من القرآن إلى اللغات الأجنبية قد جاءت ضمن كتاب ((الجدل)) الذى ألفه ابن الصليبي مطران (ديار بكر (ت ١١٧١م) وهو مخطوط بالسريانية وموجود فى كنيسة بطريركية السريان ببيروت (٤).

---

(١) عبد الحميد مدكور : الترجمة والحوار مع الآخر ، ص ٤٧، كتاب المؤتمر الدولي الأول للفلسفة الإسلامية "الفلسفة الإسلامية والتحديات المعاصرة" المنعقد بدار العلوم . القاهرة ١٩٩٦م.

(٢) يوهان فوك ، مرجع سابق ، ص ١٤ .

(٣) السابق ، ص ٢٢ .

(٤) محمد صالح البنداق ، المستشرقون وترجمة القرآن الكريم ، ص ٩٧، دار الآفاق الجديدة ، ط٢، بيروت ١٤٠٣ هـ – ١٩٨٣ م .

الثاني: أن بطرس الموقر أمر بترجمة القرآن للمرة الأولى عام ١١٤٣م حتى يستطيع دحضه[(١)].

وقد أكد زويمر المبشر اليهودى على أن تلك الترجمة تمت بدافع تنصيري[(٢)].

الثالث: ما ذكره جورج سيل فى مقدمة ترجمته للقرآن بأن الهدف منها هو تسليح النصارى البروتستانت فى حربهم التنصيرية ضد الإسلام والمسلمين، لأنهم وحدهم قادرون على مهاجمة القرآن بنجاح، وأن العناية الإلهية قد ادخرت لهم مجد إسقاطه [(٣)].

ولما أعيد نشر هذه الترجمة فى طبعة أخرى عام ١٨٩٦م بتقديم وتحقيق المبشر ((هويرى))، أعاد هويرى التأكيد على دور هذه الترجمة فى تنشيط وتدعيم العمل التنصيري ضد الإسلام [(٤)].

الرابع: أن الكنيسة حرمت طبع أو نشر ترجمة القرآن، حتى أن ترجمة بطرس الموقر ظلت حبيسة محفوظات دير كلونى ولم يفرج عنها إلا بعد أربعة قرون[(٥)].

ثم أعيد تحريم الطبع والنشر مرة ثانية ، ولم يسمح بطباعة الترجمة إلا عام ١٦٩٤م، عندما قام راهب مدينة هامبورج الألمانية إبراهام هنكلمان بطبعه[(٦)].

وقد سُخِّرت ترجمة القرآن فى الجدل التنصيري ضده من طرق:

الأول: تشويه الترجمة

عمد المترجمون إلى تشويه ترجمة القرآن بإسنادها إلى مترجمين من الدرجة الثانية والثالثة ومعاملة النص القرآنى معاملة مؤلفات بشرية، وذلك للحد من إمكانية إقبال غربىّ على هذه الترجمات والإفادة منها، وبذلك يوجد حاجز نفسى عميق بين غير المسلم وبين القرآن، كذلك كانت هذه الترجمات أحد أسباب سيول الأباطيل

---

(١) Trevor – Roher, Hugh, The Rise of Christian Europe, P. 145.

(٢) Zwemer S., The Translation of the Quran, The Muslim World, P. 295, 5. (1973)

(٣) أحمد عبد الحميد غراب، رؤية إسلامية للاستشراق ، ص ٣٥، المنتدى الإسلامي، لندن ١٤١١هـ.

(٤) السابق ، ص ٣٦ .

(٥) محمد صالح البنداق ، مرجع ، ص ٩٥ – ٩٦ .

(٦) يوهان فوك ، مرجع سابق ، ص ٩٨ .

والمطاعن والشتائم التى ساقها كتّاب التنصير ضد القرآن الكريم [1].

ويعدد صالح البنداق وجوه تشويه ترجمات القرآن، فيما يلى[2].

١- إزاحة الآيات من مكانها التوقيفى لتضليل القارئ وإبعاده عن الإحاطة بحقيقة النص القرآنى.

٢- الترجمة الحرّة وتحاشى الترجمة العلمية إمعاناً فى التحريف والتضليل، مما يترتب عليه تحوير المعانى وتبديلها، وعرض النص القرآنى كما يراه المترجم، لا كما تقتضيه آياته وألفاظه.

٣- التقديم والتأخير والحذف والإضافة.

مما يمكن معه القول بأن: ((ترجمات القرآن التى يعتمد عليها علماء الإفرنج فى فهم القرآن كلها قاصرة عن أداء معانيه التى تؤديها عباراته العليا وأسلوبه المعجز للبشر)) [3].

فالترجمة اللاتينية الأولى للقرآن (ترجمة بطرس الموقر) التى تمت عام ١١٤٣م اضطلعت فقط بتقديم مضمون الفكرة، ولم تكترث بأسلوب الأصل العربى وصياغته، وقام الدافع التنصيرى حائلا أمام الوفاء بتحقيق هذا الغرض[4].

وقد كانت هذه الترجمة (المشوّهَة) الأصل الذى نبعت منه الترجمات الأخرى؛ فمنها نبعت الترجمة الإيطالية الأولى التى أشرف عليها أريفابيني عام ١٥٤٧م، وفى سنة ١٦١٦م ترجم سالمون شفايجر إلى الألمانية عن الإيطالية، وعن الألمانية إلى الهولندية فى سنة ١٦٤١م[5].

وعن هذه الترجمة اللاتينية الأولى وضع الحاخام اليهودى يعقوب بن إسرائيل أول ترجمة بالعبرية عام ١٦٣٤م[6].

---

(١) قاسم السامرائي ، مرجع سابق ، ص ٦٧ .

(٢) محمد صالح البنداق ، مرجع سابق ، ص ١٠١ – ١٠٨ .

(٣) رشيد رضا ، الوحي المحمدي ، ص ٢٤، المكتب الإسلامي ، دمشق ١٣٩١هـ – ١٩٧١م.

(٤) يوهان فوك ، مرجع سابق ، ص ١١ .

(٥) يوهان فوك ، مرجع سابق ، ص ١٨ .

(٦) محمد صالح البنداق ، مرجع سابق ، ص ٩٦ .

الثانى: إضافة المقدمات والملاحق

أضيف إلى نصوص الترجمات ((المشوّهة)) للقرآن الكريم مقدمات تفسيرية وملاحق شارحة لا لمضمون النص المترجم، بل جدليات ضد أصالته، وسخرية من محتواه، ومحاولات للحط منه.

أما الترجمات الفرنسية للقرآن سواء اعتمدت على الترجمة اللاتينية الأولى أم اعتمدت على الأصل العربى أو على ترجمة مرتشي الإيطالى، فإنها شوهت النص الأصلى، وابتعدت عنه – كما تقول الباحثة هداية عبد اللطيف مشهور – فى دراستها حول ترجمات القرآن الفرنسية: ((رجعت إلى خمس وعشرين ترجمة للقرآن بالفرنسية، فوجدتها كلها محرّفة، وتضيف نصوصاً من التوراة إلى آيات القرآن الكريم دون الإشارة إلى ذلك)) [1].

وهكذا فقد تضمنت الترجمة اللاتينية الأولى ((ترجمة بطرس الموقر)) التى قام بها الراهب الإنجليزى روبرت الرتينى، والراهب الألمانى هرمان الدالمانى، عدداً من المقدمات والملاحق سميت بمجموعة ((دير كلونى))، وهي[2]:-

١- خطاب بطرس إلى بيرنهارد (القديس برنار دى كليوفر).

٢- مجموعة مختصرة من الوثائق الشيطانية المضادة للطائفة الإسلامية الكافرة.

٣- مقدمة روبرت الرتينى.

٤-((تعاليم محمد)) لهرمان الدالمانى .

٥- ((أمة محمد ونشوزها)) لهرمان الدالمانى .

٦- تاريخ المسلمين (أخبار المسلمين المعيبة المضحكة).

ولمّا انتهى الكاردينال يوحنا الأشقوبى الأسبانى (ت ١٤٥٦م) من ترجمة

---

(١) مجلة الحرس الوطني، ص٣٧، العدد١٢٩، المملكة العربية السعودية (ذو القعدة ١٤١٣هـ– مايو ١٩٩٣م).

(٢) يوهان فوك ، مرجع سابق ، ص ١٧ .

– عبد الرحمن بدوي ، موسوعة المستشرقين ، مرجع سابق ، ص ٣٠٧ .

القرآن إلى اللاتينية بمساعدة آخرين ألحق بالترجمة جدلية ضد الإسلام بعنوان: ((طعن المسلمين بسيف الروح)) (١).

وحينما نشرت مطبعة بتافيا بإيطاليا الترجمة اللاتينية ذائعة الصيت التى قام بها الراهب الإيطالى لودوفيجو مرّتشي ١٦٩٨م بموافقة البابا أنوسنت الحادى عشر، جاءت الترجمة فى قسمين:

يشتمل القسم الأول على النص العربى للقرآن مع ترجمته اللاتينية وحواشى جزئية للرد على بعض المواضع، ويشتمل القسم الثانى على كتاب: ((الرائد إلى الرد على القرآن)) (٢).

أما ترجمة جورج سيل الإنجليزية التى ظهرت فى لندن عام ١٧٣٤م وأعيد طبعها أكثر من ثلاثين مرة، فقد تضمنت مقدمة جدلية ضد القرآن وصفت فى أدبيات التنصير بأنها قيمة وأنها أفضل وصف موضوعي للإسلام(٣).

لذلك أصبحت هذه المقدمة أحد الجدليات الأساسية التى يعتمد عليها التنصير فى الجدل ضد أصالة القرآن الكريم (٤).

الثالث: عنونة ترجمات القرآن

لم تكرّس العنوانات التى وضعها مجادلو التنصير على أغلفة ترجمات القرآن جدلياتهم ضده فقط، بل شكلت بذاتها جدليات مستقلة ضد أصالة القرآن، حيث تحاشت عقد أية صلة بين القرآن والوحى السماوى، فكتب المترجمون على الأغلفة عنوانات من قبيل: (كتاب محمد، قرآن محمد، القرآن العربي، القرآن التركي، مبادىء السراسنة، الشرائع التركية، الكتاب المقدس التركي، تشريعات المسلمين).

---

(١) أورد الألماني هانبت سجلاً للحدث في مقاله: "حوار يوحنا الأشقوي مع نيكلاوس القوسي وجيان الجرماني حول الثالوث المقدس وإعلانه بواسطة المحمدين" . MTHZ2 (1915) S: 5, 115-129.

(٢) عبد الرحمن بدوي ، موسوعة المستشرقين ، ص ٣٠٣ ، مرجع سابق .

(٣) أحمد عبد الحميد غراب ، مرجع سابق ، ص ٣٥ – ٣٦ .

(٤) يراجع في ذلكما ذكره المبشر القبطي المهتدي للإسلام إبراهيم خليل أحمد في كتابه: المستشرقون والمبشرون في العالم العربي والإسلامي، ص ٥٨، مكتبة الوعي العربي. القاهرة ١٩٦٤م.

المسلك الثاني : البحوث التنصيرية حول القرآن

بدأ هذا المسلك مع بداية مرحلة التنصير المؤسَّسي، حيث عكفت مؤسستا التنصير: التبشير والاستشراق، على إجراء بحوث ودراسات حول القرآن لتقرير إنسانية مصدره وتطبيق مناهج نقد النصوص الأدبية على القرآن.

وقد أسهمت مدرسة النقد التاريخى فى الغرب التى أسسها الكاثوليكى ريتشارد سيمون بكتابه ((التاريخ النقدي للعهد القديم)) عام ١٦٧٨م [(١)]، بدور فعّال فى هذا المجال حيث تناولت القرآن الكريم ضمن مبحثين من مباحث النقد التاريخي للنصوص، وهما:

أ ــ مصادر القرآن

لم ير هذا المبحث النور إلا فى أعقاب نجاح جهود مدرسة النقد التاريخى من خلال بحوث: ريتشارد سيمون ــ يوهان سملر ــ القس الألمانى تلننج برنارد فيتر ــ جان استروك ــ كارل دافيد إيلجن ــ دى فيته ــ هيرمان هونفلد ــ تيودور نولديكه ــ فلهاوزن، فى اكتشاف الوثائق أو النسخ أو التقاليد (الكهنوتية ــ الإيلوهيمية ــ اليهوية ــ التثنية) التى شكلت مصادر كتابة التوراة على يد محرريها من اليهود.

ولما كان الأخيران من رجال مدرسة النقد التاريخي (نولديكه، وفلهاوزن) من كبار علماء المؤسسة الثانية من مؤسسات التنصير (الاستشراق)، فقد وجّها البحث فى

---

(١) ظن الدكتور محمد خليفة حسن فى كتابه ((آثار الفكر الاستشراقى فى المجتمعات الإسلامية))، ص١٠٣، دار عين للبحوث والدراسات. القاهرة ١٩٩٧م، أن فلهاوزن مؤسس علم النقد التاريخى، وهذا غير صحيح لأن جهود فلهاوزن فى اكتشاف مصادر التوراة الأربعة مسبوقة بجهود ريتشارد سيمون صاحب أول مؤلّف فى علم النقد التاريخى وتلته جهود خلفائه المذكورين فى المتن والذين اكتشفوا كلٌ على حدة أحد مصادر التوراة الأربعة، وقام فلهاوزن بترتيبها وتصنيفها وكشف دلالاتها.

راجع فى ذلك:

Hans . Joachim Kraus , Geschichte der historisch - Kritischen Erforschung des les Alten Tesament , Neukir chen - Vluyn . 1969 .

Rudolf Smend , Epochen der Bibel kritik , Muenschen 1991 .

هذا المجال إلى القرآن الكريم، وذلك لإضفاء ثوب برّاق من العملية والمنهجية الزائفة على الادعاء التنصيري القديم بأن القرآن تلفيق من التوراة والإنجيل.

لذلك أصبح موضوع ((مصادر القرآن)) أو ((مصادر الإسلام)) فرعاً مستقلا بذاته فى دراسات مؤسّستى التنصير: الاستشراق والتبشير.

وقد حرص مجادلو التنصير فى هذا المجال على إرجاع كل كبيرة وصغيرة فى القرآن إلى مصدر سابق سواء أكان دينياً أم غير دينى، وقد دارت مصادرهم المقترحة للقرآن الكريم حول مصادر ستة[1]: ـ

١- الوسط الوثنى فى شبه جزيرة العرب (معتقدات، عادات، عبادات، أشعار) وعلى الأخص شعر أمية بن أبى الصلت.

٢- الحنفاء.

٣- الصابئة.

٤- الزرادشتية وديانات الهند القديمة .

٥- النصرانية .

٦- اليهودية .

ومن بين الجدليات التنصيرية ضد أصالة القرآن فى هذا المجال:

١- المصادر الأصلية للقرآن ، للمبشر البورتستانتي سانت كلير تسدال.

٢- مصادر القصص الإسلامية فى القرآن وقصص الأنبياء، سايدر سكاى، باريس ١٩٣٢م.

٣- تاريخ الإسلام، إصدار جامعة كمبردج عام ١٩٧٠م بإشراف برنارد لويس.

٤- مصادر القص الكتابي فى القرآن، سباير.

٥- مصادر تاريخ القرآن، آرثر جيفرى.

---

(١) عمر رضوان ، آراء المستشرقين حول القرآن الكريم وتفسيره (١ / ٢٣٧ ـ ٣٦٥) .
محمد الشرقاوى ، الاستشراق ، ص ٨٤ ـ ١١٤ ، مطبعة المدينة . القاهرة . د . ت .

٦- محمد، ميشائيل كوك، طبع جامعة أكسفورد ١٩٨٧م.

٧- القرآن والكتاب، الخورى الحداد، مطبعة حريصا البولسية، لبنان.

٨- مصادر الإسلام، المبشر وليم موير، لندن ١٩٠١م.

وغيرها الكثير مما سبقت إشارة إليه في النتاج الجدليّ لمرحلة التنصير المؤسّسي واكتفينا بذكره فى موضعه تجنباً للتكرار .

ب ـ تاريخ القرآن

أدرج هذا الموضوع ضمن مباحث منهج النقد التاريخي التى عولجت فى كتاب العهد القديم والعهد الجديد معالجة تاريخية، بوصفهما عملين أدبيين بإسهامٍ إنسانىّ يمثل أرقى إنتاج إنساني متطور عبر العصور، لأنه لم يُؤلَّف دفعة واحدة أو بقلم واحد، بل مرَّ بمراحل تطور تاريخية وأدبية يمكن رصدها وتحليلها، حيث مرّ فى رحلة تكوينه: تأليفا وجمعاً وتثبيتاً، بما يزيد عن ألف عام بالنسبة للعهد القديم، وما يقارب نصف الفترة بالنسبة للعهد الجديد، وفى تلك الرحلة الطويلة تغيرت المضامين الدينية عبر مراحل التطور، وتغير البناء التركيبي للنصوص أدبياً ولغوياً، مما استوجب بحثاً نقدياً تاريخياً، يفسّر، ويبيّن، ويفصل ما بين تلك المراحل[1].

وقد صنّف مجادلو التنصير من أتباع مدرسة النقد التاريخي عدة مصنفات جدلية ضد أصالة القرآن الكريم تضعه فى مصافّ الأعمال ذات المراحل التطورية المتعاقبة، بما يعنيه ذلك من دمغ له بالبشرية، تصنيفاً، وتحريراً، وتطويراً.

<u>ومن هذه المصنفات [2] :</u>

١- تاريخ القرآن، بوتيه (١٨٠٠ ــ ١٨٨٣م)، باريس ١٩٠٤م.

٢- التطور التاريخى للقرآن ، إدوارد سل ، مدارس (الهند) ١٨٩٨م.

٣- القرآن، فلهاوزن (١٨٤٤-١٩٨١م) مقال بالمجلة الشرقية الألمانية عام١٩١٣م.

---

(١) محمد خليفة حسن ، آثار الفكر الاستشراقي فى المجتمعات الإسلامية ، ص ١٠٢ ، مرجع سابق .

(٢) عمر رضوان ، آراء المستشرقين حول القرآن وتفسيره (١ / ٢٢٠ ــ ٢٣١).

محمد خليفة حسن ، مرجع سابق ، ص ١٠٣ ــ ١٠٤ .

٤- مواد لدراسة تأريخ نص القرآن، آرثرجفرى، ليدن ١٩٣٧م.

٥- تاريخ النص القرآني، أجناس جولدتسهر، جوتنجن ١٨٦٠م، وقد أعيد طبعه والتعليق عليه فى مجلدين بواسطة ف. شواللى، ليبتزج ١٩٠٩م.

٦- تاريخ النص القرآني، نولديكه.

٧- تاريخ قراءات القرآن، برجشتراسر.

وذلك بخلاف المداخل التى صنفها مجادلو التنصير للتعريف بالقرآن الكريم وتناولت قضية ((مصادر القرآن))، ((تاريخ القرآن))، مثل المدخل الذى وضعه: بلاشير الفرنسى ونُشر فى باريس ١٩٤٧م بعنوان ((مدخل إلى القرآن))، وكذلك المدخل الذى وضعه: د. بل، ونشر فى أدنبرج ١٩٥٤م بعنوان:

((مدخل إلى القرآن)).

المسلك الثالث: إصدار الدوريات والقواميس ودوائر المعارف المتخصصة

من أبرز الدوريات التنصيرية المتخصصة فى الجدل ضد القرآن الكريم: مجلة العالم الإسلامى، الحقيقة الواضحة، مجلة الإسلام: الألمانية، والفرنسية، والروسية.

ومن أهم دوائر المعارف التنصيرية فى هذا المجال ((دائرة المعارف الإسلامية))[1].

التى صدرت طبعتها الأولى باللغات الثلاث : الإنجليزية والفرنسية والألمانية فى الفترة من ١٩١٤م إلى ١٩٤٢م، وتوفر على إصدارها عتاة المستشرقين والمبشرين بإشراف الاتحاد الدولى للمجامع العلمية، ولما نفدت هذه الطبعة بدأ إصدار طبعة جديدة اعتباراً من سنة ١٩٥٤م.

وبدأ صدور الترجمة العربية للطبعة الأولى منذ عام ١٩٣٤م، وفى عام ١٩٩٧م صدرت ترجمة كاملة لدائرة المعارف الإسلامية بالتعاون بين الهيئة المصرية العامة للكتاب ومركز الشارقة للإبداع الفكرى.

وتعد هذه الدائرة أضخم عمل مرجعي عن الإسلام، كما أنها تتصف بصفة العالمية حيث شارك فى تصنيفها قرابة ثلاثة آلاف مؤلف ينتمون إلى مختلف الجنسيات والديانات، مما أعطاها زخماً كبيراً فى مجال الجدل ضد أصالة القرآن بما لها من انتشار وقبول.

وقد وفّرت كل تلك الخصائص للدائرة سمات العمل التنصيري الناجح فى تشويه حقائق الإسلام وإثارة الشبهات حول أصالة القرآن.

يقول فريد وجدى: ((إن أكثر كتّاب الدائرة قسس مبشرون يهمهم أن يحيفوا الإسلام لا أن ينصفوه))، لذلك يصف رشيد رضا مباحث الدائرة بما فيها من أغلاط ومطاعن ومخالفة الحقائق، بأنها: ((أضرُّ من شر كتب دعاة المبشرين وصحفهم))[2].

ويكفى استعراض ما سطره المبشر الأمريكى ماكدونالد فى الدائرة .

---

(١) راجع تاريخ نشأة الموسوعة وبيانات المؤلفين والموضوعات ، لدى :
- محمد فتحى عبد الهادى، المصادر المرجعية العربية عن الإسلام والمسلمين، ص٨ -١٠، ندوة مصادر المعلومات عن العالم الإسلامى، مرجع سابق .
- أعراب عبد الحميد، دائرة المعارف الإسلامية، ص٨- ١٥، ندوة مصادر المعلومات عن العالم الإسلامى، مرجع سابق .

(٢) أعراب عبد الحميد، دائرة المعارف الإسلامية، ص٩، ندوة مصادر المعلومات. مرجع سابق.

المسلك الرابع : ترويج المزاعم وإثارة الشبهات

اتجه المنصّرون فى جدلياتهم منذ البداية إلى إثارة الشبهات والمزاعم حول المصدر الإلهى للقرآن الكريم، وكانت جدلية الدمشقي ضد الإسلام هى المنطلق والفرضية الأساسية التى بنيت عليها مزاعم وشبهات الجدل التنصيرى ضد أصالة القرآن الكريم.

فمنذ أرسى الدمشقي دعائم جدليته الأساسية ((الإسلام هرطقة مسيحية))، ولازال الجدل التنصيري يرددها عبر مراحله المختلفة، ففى العصور الوسطى تلقفها توما الإكوينى الذى صبغ العصور الوسطى برؤيته، فوصف الإسلام بأنه دين زائف وهرطقة بدعية (١).

وفى العصر الحديث أكد المبشر الأمريكى ماكدونالد، مؤسس مدرسة كنيدى لإعداد الإرساليات التبشيرية، وصاحب الدراسات الواسعة عن الإسلام ومؤلف أكثر من ((مادة)) من مواد دائرة المعارف الإسلامية، أكّد فيها على أن ((الإسلام مسيحية مهرطقة))(٢).

وتجسدت هذه الجدلية فى الأعمال الأدبية والفنية التنصيرية ففى ((الكوميديا الإلهية)) لدانتى الذى كان يتبنى الفلسفة اللاهوتية لتوما الإكوينى، يظهر محمد(ﷺ) فى فصل (كانتو) ٢٨ من الجحيم، وقد وُضع فى الدائرة الثامنة من دوائر الجحيم التسع، وهى دائرة من الخنادق الكئيبة التى تحيط بمعقل الشيطان ولا يفصل بين محمد (ﷺ) وبين قعر الجحيم حيث يقبع الشيطان، سوى المزيفين والخونة مثل: (يهوذا الإسخريوطي، وبروتس الرومانى). كما أنه عقابه فريد مثير للاشمئزاز حيث يقطع نصفين من ذقنه إلى شقين. وهو يسوّى بينه فى استحقاق العقوبة وبين قسيس شهواني مرتد ادعى لنفسه مكانة دينية بارزة اسمه: ((فرا دولشينو)) .

بينما يضع كلا من ابن سينا وابن رشد وصلاح الدين في الدائرة الأولى من الجحيم حيث يقاسوا أخف ألوان العقاب ، لأنهم أفاضل فاتتهم فقط نعمة الوحي المسيحي(٣) .

---

(١) Montgomery Watt ,The Influence of Islam on Medieval Europe , p . 74, Edinlburgh up 1972 .

(٢) إدوارد سعيد ، الاستشراق ، ص ٢٢٠ مرجع سابق.

(٣) إدوارد سعيد ، الاستشراق ، ص ٩٧ ، مرجع سابق .

وقد ترتب على هذه الجدلية الادعاء بأن القرآن ليس كتاباً سماوياً أصيلا بل كتاب هرطقة، وهو ما انفرع عنه زعمان وشبهتان رئيستان روجتهما دوائر الجدل التنصيري في جدلياتها ضد أصالة القرآن ، وهما :

أ- القرآن تلفيق من اليهودية والنصرانية

يقول المنصّر اليهودي إبراهام جيجر فى كتابه ((ماذا اقتبس محمد من اليهودية))

((إن القرآن مأخوذ باللفظ أو بالمعنى من كتب اليهود)) (١).

ويؤكد اليهودي برنارد لويس: ((أن محمداً خضع للتأثيرات اليهودية والمسيحية كما يبدو ذلك واضحاً فى القرآن)) (٢) .

ويشرح جولدتسهر قائلا: ((تبشير النبي العربي ليس إلا مزيجاً منتخباً من معارف وآراء دينية عرفها بفضل اتصاله بالعناصر اليهودية والمسيحية التي تأثر بها تأثراً عميقاً، والتي رآها جديرة بأن توقظ فى بني وطنه عاطفة دينية صادقة ... فصارت عقيدة انطوى عليها قلبه ، كما صار يعتبر هذه التعاليم وحيا إلهياً)) (٣).

ويستدل الخوري الحداد المبشر اللبناني فى جدليته الضخمة ضد أصالة القرآن(٤)، على صحة مزاعم أسلافه من المنصرين، بقوله: ((فوجود العالِـم المسيحي ورقة بن نوفل فى جوار محمد خمسة عشر عاماً قبل البعثة، وأعواماً بعدها فى أوائل

---

(١) نقلا عن محمد صالح البنداق ، مرجع سابق ، ص ١٠٨ .

(٢) غراب ، مرجع سابق ، ص ١١٢ .

(٣) جولدتسهر، العقيدة والشريعة في الإسلام، ص١٢، بترجمة محمد يوسف موسى وآخرون، القاهرة ١٩٤٨م .

(٤) صدرت هذه الحلية منتصف القرن العشرين فى أربع مجلدات طبعتها مطبعة حريصا البولسية فى لبنان بعنوان ((دروس قرآنية))، مع عنوان خاص لكل كتاب، يجسد فيه مضمون جدليته، وجاءت على النحو التالى : ـــ

١ ـــ الإنجيل والقرآن .

٢ ـــ القرآن والكتاب .

٣ ـــ القرآن والكتاب وهو تكملة للجزء الثاني .

٤ ـــ نظم القرآن والكتاب .

وقد تصدى له الشيخ محمد عزة دروزه فى ردٍّ تفصيلي فى كتابه ((القرآن والمبشرون)) الصادر عن المكتب الإسلامي بدمشق، فى مؤلف عدّه الدكتور فريد مصطفى من أفضل ما كتب الشيخ دروزة. راجع: فريد مصطفى سليمان، محمد عزة دروزة وتفسير القرآن الكريم، ص٤٢٤، مكتبة الرشد، الرياض ١٤١٤هـــ / ١٩٩٣م .

الدعوة ووجود هذه الحاشية الكريمة فى المدينة مع النبي فى كل زمان ومكان حجة قاطعة على أن بيئة النبي والقرآن كانت كتابية من كل نواحيها ، وأن ثقافة محمد والقرآن كتابية فى كل مظاهرها، وذلك بمعزل عن الوحى والتنزيل))[1].

ب ـ القرآن تكرار لقصص العهد القديم والجديد

ساق مجادلو التنصير هذا الزعم تخصيصاً لما أجمل فى الشبهة السابقة، استناداً إلى العناصر المشتركة بين القصص القرآني وقصص العهدين.

يقول جولدتسهر: ((لقد أفاد محمد من تاريخ العهد القديم وكان ذلك فى أكثر الأحيان عن طريق قصص الأنبياء ليذكّر على سبيل الإنذار والتمثيل بمصير الأمم السالفة الذين سخروا من رسلهم ووقفوا فى طريقهم)) [2].

ويستطرد موضحاً طريقة الإفادة، بقوله: ((إن محمداً أخذ يجمع ما وجده فى اتصاله السطحى أثناء رحلاته التجارية مهما كانت طبيعة هذا الذى وجده ، ثم أفاد من دون أى تنظيم))[3].

أما المنصّر اليهودى فنسنك فيخرج بدائرة الإفادة عن حدود العهد القديم، ويربط لنا بوضوح بين هذا الزعم وبين سابقه وبين الفرضية الأساسية والمنطلق الذى انفرعت عنه هذه الادعاءات قائلا: (النبي كان يبشر بدين مستمد من اليهودية والنصرانية، ومن ثمّ كان يردد قصص الأنبياء المذكورين فى التوراة والإنجيل، لينذر قومه بما حدث لمكذّبى الرسل قبله، وليثبّت أتباعه القليلين من حوله)[4].

ولأن هذه المزاعم التنصيرية تستمد أصولها من مزاعم مشركى مكة حول أصالة القرآن الكريم كما اتضح ذلك من خلال رصد خصائص الجدل التنصيرى فى مرحلة بداياته المشرقية.

فإن القرآن الكريم نفسه قد تصدى لهذه المزاعم مفنداً إياها من طرق : ـ

---

(١) الحداد ، القرآن والكتاب (٢ / ١٠٦٠) مرجع سابق .

(٢) جولد تسهر ، العقيدة والشريعة فى الإسلام ، ص ١٥ مرجع سابق ، والمعنى نفسه أورده بلفظ مقارب فى ((مذاهب التفسير الإسلامى)) ، ص ٧٥ ، بترجمة عبد الحليم النجار ، القاهرة ١٩٥٥م .

(٣) جولدتسهر ، العقيدة والشريعة ، ص ٢٥ ، مرجع سابق .

(٤) غراب ، مرجع سابق ، ص ٩١ .

أولها: طريق التحدى، وهو طريق الردع لذوى اللجاجة فى الجدل غير المنقادين إلى المسلمات والحقائق، والرافضة لكل برهان يقينيّ ودليل إلزامى وحجة دامغة. قال تعالى: ﴿قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَن يَأْتُواْ بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لاَ يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ (الإسراء/٨٨).

فإن كان محمد (ﷺ) قد استطاع بمساعدة أهل الكتاب أن يأتى بالقرآن من عند نفسه ، فليحاول أهل الكتاب أنفسهم ومعهم الثقلان من الجن والإنس أن يأتوا بمثل القرآن إن كانوا صادقين فى زعمهم مبدأ الإفادة.

وهذا التحدى القرآنى لمجادلى التنصير يشتمل على دليل بطلان مزاعمهم، إذ التحدى مكللٌ بفشلهم وهو دليل على بطلان دعواهم.

الثانى: طريق المقارنة، حيث يدعو القرآن إلى تأمل آياته وقصصه وأخباره، إذ ينتهى ذلك التأمل إلى نتيجة حتمية مؤداها تنزيه القرآن عن الاختلاف والتناقض، وهذه سمة الوحى الإلهى الأصيل فقط، أما غيره فيشتمل على وجوه من الاختلاف والتضارب، قال تعالى: ﴿ أَفَلاَ يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ اخْتِلاَفًا كَثِيرًا ﴾ (النساء/٨٢).

الثالث: طريق النقد التاريخي، وفيه ألزم القرآن مجادليه بحقيقتين تاريخيتين تبطلان مزاعمهم:

الحقيقة الأولى: أمية الرسول (ﷺ) وعدم معرفته بالقراءة والكتابة.

قال تعالى: ﴿وَمَا كُنتَ تَتْلُو مِن قَبْلِهِ مِن كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذًا لَّارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ﴾ (العنكبوت/٤٨).

الحقيقة الثانية: عجمة المعلمين المزعومين ، فالحداد الذى نسبوا إليه تعليم النبى (ﷺ) كان لسانه أعجمياً لا يجيد العربية بينما القرآن فى أعلى طبقات الفصاحة التى سجد لها بعض الأعراب ، والتى لا يستقيم عقلا أن يتعلمها النبى (ﷺ) من أعجمى ، قال تعالى :

﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُّبِينٌ ﴾ (النحل/١٠٣).

الفصل الثاني

تفنيد مزاعم الجدل التنصيري

حـــول

أصالة القرآن الكريم

فرضت طبيعة الجدل التنصيري ضد أصالة القرآن بما أثارته من مزاعم وشبهات وبما سلكته من ضروب ومسالك، نوع المنهج المناسب لتنفيد تلك المزاعم وبيان تهافتها، وليس ثمة شك فى أهمية الدور الذى يمثله المنهج فى هذا المجال، لأن مجادلي التنصير ألبسوا مزاعم جدلياتهم ثوب المنهجية، وبثوها من خلال الجالسين تحت أقدامهم من المخبرين الثقافيين المحليين عبر بوابات العلم ومداخله.

لذلك فإن المنهج المقارن إلى جانب منهج النقد التاريخى ومنهج نقد النصوص وبحوث تاريخ الأديان هى الأبرز شأناً فى مناقشة مزاعم الجدليين ضد أصالة القرآن الكريم، ولهذه المناهج القدرة على إثبات أصالة الحقيقة التاريخية الثابتة لتلقى النبى محمد (ﷺ) الوحي القرآني من ربه من خلال الشواهد التاريخية ومن خلال نتائج: بحوث تاريخ الأديان ومقارنة النصوص ونقدها .

وستأتى هذه المناقشة على النحو الذى سلكته دوائر التنصير من طرح جدلياتها عبر دعويين، مما يستوجب أن تكون المناقشة ـ أيضا ـ من خلال معبرين يجمعهما المبحثان الآتيان:

وجوه تهافت الدعوى الأولى "القرآن تلفيق من اليهودية والنصرانية"

لا شك أن العلاقة بين الإسلام واليهودية والنصرانية غير منكورة ابتداءً، إذ يقول تعالى: ﴿ شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبراهيم وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلاَ تَتَفَرَّقُوا فِيهِ ﴾ (الشورى/١٣).

كذلك شأن العلاقة بين القرآن والكتب السابقة ، لقوله تعالى فى ذلك:

﴿وَمَا كَانَ هَذَا الْقُرْآنُ أَن يُفْتَرَى مِن دُونِ اللّهِ وَلَكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ الْكِتَابِ لاَ رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (يونس/٣٧).

لكن هذه العلاقة غير المنكورة بين القرآن والكتب السابقة ليست علاقة اقتباس ومتابعة من القرآن كما أشاعت جدليات التنصير، بل هى كما قرر القرآن الكريم نفسه:

١- هيمنة قرآنية وتصديق، كما قال تعالى: ﴿ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾ (المائدة/٤٨).

٢- كشف للمستور، كما قال تعالى: ﴿قَدْ جَاءكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ ﴾ (المائدة /١٥).

٣- فصل فى مواضع الخلاف: ﴿ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَقُصُّ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَكْثَرَ الَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴾ (النمل/٧٦).

٤- تفصيل: ﴿ وَتَفْصِيلَ الْكِتَابِ لاَ رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ (يونس/٣٧).

ومثل هذه العلاقة التغايرية التقابلية بين القرآن وكتب العهد القديم والجديد، علاقة: ((المهيمن)) بالمهين عليه، المبُين، بالمُستَبْيَن، الفيصل بالمفصول فيه، المفصِّل بالمبهم، لابد أن تتضمَّن اختلافاً بعيداً بين الفاعل والمنفعل، بين المؤثِّر (القرآن) والمتأثر (كتب العهدين).

وذلك يجعل من القول باقتباس القرآن من التوراة والإنجيل مناقضاً لطبائع الأشياء وبدهيات الأمور ، ومنافياً لحقيقة الاختلاف والتباين البعيد بين القرآن وكتب العهدين القديم والجديد.

وهذا ما نطق به المبشر الدومينيكاني الراهب دى مونت كروس ـــ رغماً عنه ـــ فى أحد مقاطع جدلياته ضد أصالة القرآن، قائلا: ((يا محمد أنا لا أصدق أنك قد تسلمت هذه الآراء من الله لأنك عجيب غريب فى رسالتك؛ لأنك لا تتفق مع أى كتاب مقدس آخر... يجب أن ننبذ ما ادعى محمد أنه تسلمه من الله؛ لأنه مناقض تماماً للأحكام التى كتبها موسى والأنبياء والرسل بعده))(١).

وليست طبيعة العلاقة بين القرآن وكتب اليهود والنصارى هى العائق الوحيد أمام صحة الزعم باقتباس القرآن من كتب العهدين القديم والجديد، بل هناك عوائق أخرى يحول كل منـــها أمام أىّ احتمال للقول بسلامة هذا الزعم من وجه من الوجوه، وتتمثل هذه العوائق التى تشكل فى الآن نفسه دلائل تهافت شبهة اقتباس القرآن من كتب اليهود والنصارى، فيما يلى : ــ

أولاً : شخصية الرسول (ﷺ)

تقوم حياة النبى (ﷺ) برهاناً ساطعاً على صحة تلقيه الوحي القرآني عن ربه، وعدم صحة الزعم باقتباسه (ﷺ) من كتب اليهود والنصارى أو تعلمه من أحدهم، وذلك من وجوه، منها:

١- حياته (ﷺ) المعروفة بتفاصيلها ودقائقها، حيث لم يؤثر عنه الجلوس إلى أحد النصارى أو اليهود بمكة أو غيرهما للتعلم والمدارسة، وليس هناك أىُّ دليل محسوس أو ملموس على تعلمه (ﷺ) شيئاً من أهل الكتاب، بل ولا دليل على جلوسه للتعلم على يد أحد من غيرهم فى أىّ من فروع العلم والثقافة أو الصناعات والحرف، وقد استدل القرآن على لسان النبى (ﷺ) بذلك الدليل فى مواجهة قومه. قال تعالى : ﴿ **قُل لَّوْ شَاءَ اللَّهُ مَا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ وَلاَ أَدْرَاكُم بِهِ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِّن قَبْلِهِ أَفَلاَ تَعْقِلُونَ** ﴾ (يونس/١٦).

أما ما تذكره جدليات التنصير من مصادر تعليمية حية للنبى (ﷺ) على يد بعض أسماء من أهل الكتاب ، فهى أصناف ثلاثة:

<u>الصنف الأول</u>: ورقة بن نوفل ابن عم خديجة أم المؤمنين زوج النبى(ﷺ)،

(١) قاسم السامرائى ، مرجع سابق ، ص ٦٢ .

وهنا يقدم لنا علم نقد النصوص البرهان الكافي على أصالة تلقي النبي (ﷺ) الوحي القرآني من ربه، وامتناع تعلمه شيئاً من ورقة أو غيره، حيث يقول ورقة ما نصه: ((وإن يدركنى يومك أنصرك نصراً مؤزراً))[1] ، إذ لم يكن ورقة ليؤمن بنبوة رجل يجلس منه مجلس المتعلم .

الثاني: بحيرا الراهب، ونسبة تعلم النبى (ﷺ) شيئاً منه هى نوع من الخيال القصصي الذى يتهاوى أمام الفحص النقدي لمتون القصص، حيث تقطع وقائع القصة بأنها تمت فى جزء من نهار أمام أعين القرشيين، وأن النبي (ﷺ) كان مستخبرا عنه، ولم يكن مُخْبَراً بشيء، وأن الراهب أخبرهم أن محمدا (ﷺ) رسول إلى العالمين بدليل خاتم النبوة أسفل كتفه[2].

الثالث: مَنْ كانوا فى صحبة النبى (ﷺ)، مثل بلال الحبشي، أو صهيب الرومي، أو ماريا القبطية، وهؤلاء وغيرهم لا يقوم بهم دليل على شبهة تعليم النبى (ﷺ)؛ وذلك لسببين :

أولهما: تاريخيّ حيث لم يظهروا فى صحبة النبى (ﷺ) إلا بعد بدء نزول القرآن وبعد ظهور الإسلام، والثاني كونهم مسلمين آمنوا بصحة نبوته ونزول الوحي عليه بالقرآن الكريم، وليس هناك برهان على انتفاء شبهة التعلم أوقع من تصديقهم لتلقيه الوحى بالقرآن وإيمانهم به.

٢- أمانته وصدقه (ﷺ)، حتى أنه كان يلقّب بالصادق الأمين، ولم يكن هذا الصادق ليذر الخيانة والكذب على الناس، ثم يقترفها فى حق الله.

ثانياً: تاريخ كتب العهدين القديم والجديد .

يقوم تاريخ العهد القديم والعهد الجديد حائلا أمام شبهة التعلم منهما، وذلك

---

(١) صحيح البخارى ، [كتاب بدء الوحي / باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله (ﷺ)] حديث رقم٣ .

(٢) محمد بن جرير الطبري ، تاريخ الأمم والملوك (٢ / ٢٧٨ ــ ٢٧٩) ، ط٥ ، دار المعارف. القاهرة .
ــ ابن هشام الحميرى، السيرة النبوية (١٨٠/١ ــ ١٨٣)، ط٢، مطبعة الحلبى ، القاهرة ١٣٧٥هــ.
ــ أبو الفداء بن كثير، البداية والنهاية (٤٣٥/٣ ــ ٤٤٢)، دار هجر. القاهرة ١٤١٧هــ ــ ١٩٩٧م . وقد أورد الترمذي فى جامعه إخبار بحيرا بنبوة محمد(ﷺ) إلى العالمين واستدلاله بخاتم النبوة تحت كتفه (ﷺ). جامع الترمذى [كتاب المناقب / باب ما جاء فى بدء نبوة النبى (ﷺ)، حديث رقم ٣٦٢٩] .

من جانبين:

الجانب الأول: النسخة العربية من كتب العهدين.

هذه النسخة لم تكن موجودة فى عهد النبى (ﷺ)، ولا بعده بقرون، فقد بحث القس روبير شدياق محقق كتاب ((الرد الجميل)) للغزالى عن ترجمة عربية للعهد الجديد، فلم يعثر على أى ترجمة حتى عصر الغزالى فى القرن الخامس الهجرى[1].

وهذه النتيجة هى ما انتهت إليه أحدث دائرة للمعارف الدينية

(Theologische Realenzklopuedie) من خلال تتبعها الدقيق لتاريخ أقدم تراجم العهد الجديد[2].

أما وجود نص عربى للتوراة فأبعد فى الاستحالة، وإلى جانب ذلك فلم يكن بمكة أحد من علماء اليهود يمكن الادعاء بأن محمداً (ﷺ) قد تعلم منه، أما الزعم بإمكانية الإفادة من يهود المدينة، فذلك باطل تاريخياً لأن السور المكية هى التى عرضت أطوار قصص التوراة بتفاصيلها الدقيقة، على النحو التالى [3].

سورة الأعراف عن آدم ١١ ـــ ٢٥، وموسى ١٠٢ ـــ ١٧٦، وسورة يونس عن موسى ٧٥ ـــ ٩٢ ، وسورة هود عن نوح ٢٥ ـــ ٤٩ ، وإبراهيم ولوط ٦٩ ـــ ٨٢، وسورة يوسف عن يوسف، وسورة الحجر عن آدم وإبراهيم ولوط ٢٦ـــ ٧٧، وسورة الإسراء عن بني إسرائيل ٤ - ٨، وسورة الكهف عن أهل الكهف ٩- ٢٥، وموسى ٦٠ ـــ ٨٢، وسورة مريم عن زكريا ويحيى ومريم وعيسى ... إلخ ١ - ٣٣، وسورة طه عن موسى ٩ - ٩٨، وسورة الأنبياء عن إبراهيم ٥١ - ٧٠، وداود وسليمان ٧٨ ـــ ٨٢، وسورة الشعراء عن موسى وإبراهيم ونوح .... إلخ ١٠ -١٨٩، وسورة النمل عن موسى وداود وسليمان ٧ - ٤٤، وسورة القصص عن موسى ٣- ٤٣، وقارون ٧٦ ـــ ٨٢، وسورة العنكبوت عن نوح وإبراهيم ولوط ١٤ ـــ ٣٥، وسورة سبأ عن داود وسليمان ١٠ ـــ ١٤، وسورة ((ص)) عن داود وسليمان وأيوب ١٧ ـــ ٤٤ ، وسورة الذاريات عن إبراهيم ٢٤ ـــ ٣٧.

---

(١) مالك بن نبى، الظاهرة القرآنية، ص٢٤٧، بترجمة عبد الصبور شاهين، دار الفكر. دمشق١٤٠٢هـــ ـــ ١٩٨١م .

(٢) Theologische Realenzklopuedie , ٤ , ٢١١ - ٢١٣ , London - New York - Bonn .

(٣) محمد عبد الله دراز، مدخل إلى القرآن الكريم، ص١٥٦ ـــ ١٥٧، دار القلم، الكويت ١٣٩١هـــ ـــ ١٩٧١م.

وذلك يعنى انهيار الدعوى محلِ النزاع من أساسها، فلا النص موضع الدعوى موجود فى زمنه (ﷺ)، ولا إمكانية القراءة سبيل الإفادة من النص متوفرة لدى المدعى عليه.

الجانب الثانى: نسخ العهد القديم والجديد

تشكل نسخ العهد القديم والجديد أكبر عائق أمام الزعم بتعلم النبى (ﷺ) أو غيره من كتب اليهود والنصارى، لأن العهد القديم والجديد ليس نسخة واحدة معتمدة من معتنقيها، بل يمكن القول بدون أيّ تجاوز علمي: إن العهد القديم ثلاثة كتب مختلفة الحجم والمحتوى والأسلوب، وهى:

١ ــ توراة السامرة

٢ ــ الترجمة السبعينية

٣ ــ توراة العبرانيين (١).

ولا يختلف الأمر بالنسبة للعهد الجديد الذى يختلف باختلاف الكنيسة التابع لها، ولذلك توجد أكثر من ثلاث نسخ رئيسية للعهد الجديد، وهى:

العهد الجديد للأرثوذكس، العهد الجديد للكاثوليك، العهد الجديد للبروتستانت. العهد الجديد للأقباط، العهد الجديد للأرمن (٢).

وفى النصف الأول من القرن الماضى اكُتشفت فى وادى قمران بالأردن وفى نجع حمادى بصعيد مصر عدة مخطوطات بيّنت أن هناك كتباً مقدسة أخرى لدى طوائف اليهود والنصارى (٣).

ولا شك أن الاعتماد على أية نسخة من النسخ سيقود حتما إلى التناقض مع معطيات النسخ الأخرى، ويكفى للتدليل على ذلك، ذكر مثال واحد للاختلاف بين نسخ

---

(١) R . Smendl , Die Entstehung des Alten Testament , Stuttgart - Mainz 1978 .
Wemer . Kuemmel , Einleitung in das Neue Testament , Heidlberg 1983 .

(٢) - B . F . Westcott , The Bible in the Church , Grand Rapids . (U.S.A 1980)

(٣) J . M . Robinson , Die Bedeutung der Bibliothek von Nag Hammadi Fuer die Heutige Theologie und Fruhe Christentum, Bamberg 22.6.93 (vortrag).

التوراة الثلاثة حول أعمار الخليقة من آدم إلى الطوفان، كما يبينها الجدول التالى[1]:

الاسم	العبرانية	السامرية	اليونانية
آدم	١٣٠	١٣٠	٢٣٠
شيت	١٠٥	١٠٥	٢٠٥
آنوش	٩٠	٩٠	١٩٠
قينان	٧٠	٧٠	١٧٠
يارد	١٦٢	٦٢	٢٦٢
متوشالح	١٨٧	٦٧	١٨٧
لامك	١٨٢	٥٣	١٨٨
الزمان من خلق آدم إلى الطوفان	١٦٥٦	١٣٠٧	٢٢٦٢

وكذلك الشأن فيما يخص الأناجيل ، إذ الاختلاف بينها أعمق خاصة فيما يتعلق بنسب المسيح ــ عليه السلام ــ من حيث أعداد الأنسال وأسماؤهم من آدم إلى المسيح، كما يظهر من خلال الجدول التالي[2]:

(أ) نسب المسيح قبل إبراهيم		(أ) نسب المسيح قبل داود	
حسب إنجيل متى	حسب إنجيل لوقا	حسب إنجيل متى	حسب إنجيل لوقا
إنجيل متى لا يذكر أي اسم	١ آدم	١ إبراهيم	١ إبراهيم
	٢ شيت	٢ إسحق	٢ إسحق
	٣ أندش	٣ يعقوب	٣ يعقوب
	٤ قينان	٤ يهوذا	٤ يهوذا
	٥ مهلئيل	٥ فارص	٥ فارص
	٦ يارد	٦ حصرون	٦ حصرون

(١) سعود الخلف ، دراسات فى الأديان اليهودية والنصرانية ، ص ٨٦ .
وانظر فى محتوى مخطوطات البحر الميت:
ــ محمود العابدي، مخطوطات البحر الميت، دائرة الثقافة والفنون . عمان ١٩٦٧م .
ــ أنيس فريخة، مخطوطات البحر الميت وجماعة قمران . بترجمة إبراهيم مطر . بيروت ١٩٥٧م .
(٢) موريس بوكاى، القرآن الكريم والتوراة والإنجيل والعلم، ص١٠٨ ــ ١١٠، دار المعارف، لبنان ١٩٧٧م .

(أ) نسب المسيح قبل إبراهيم		(أ) نسب المسيح قبل داود	
حسب إنجيل متى	حسب إنجيل لوقا	حسب إنجيل متى	حسب إنجيل لوقا
قبل إبراهيم	٧ أخنوخ	٧ آرام	٧ عرنى
	٨ متوشالح	٨ عمينا داب	٨ أدمنى
	٩ لامك	٩ نعشون	٩ عمينا داب
	١٠ نوح	١٠ سليمان	١٠ نحشون
	سام	١١ بوعز	١١ شالح
	أرفكشاد	١٢ عبيد	١٢ بوعز
	قينان	١٣ يسى	١٣ عويبد
	شالح	١٤ داود	١٤ يسى
	عابر		
	فالج		
	راعو		
	سروح		
	ناحور		
	تارح		

حسب إنجيل متى		حسب إنجيل لوقا		حسب إنجيل متى		حسب إنجيل لوقا		حسب إنجيل متى	حسب إنجيل لوقا	
				النفي إلى بابل						
١	سليمان	١	سليمان	١٥	شالتئيل	١٥	بوسي		٢٩	متتبا
٢	رحبعام	٢	ناتان	١٦	زربابل	١٦	عير		٣٠	مآت
٣	أبيا	٣	متاتا	١٧	أبيهود	١٧	المودام		٣١	نجاي
٤	أسا	٤	منا	١٨	ألياقيم	١٨	قوسام		٣٢	حسلي
٥	يوشافاط	٥	مليا	١٩	عازور	١٩	آدي		٣٣	ناحوم
٦	يورام	٦	ألياقيم	٢٠	صادوق	٢٠	ملكي		٣٤	عاموس
٧	عزيا	٧	يونان	٢١	أكيم	٢١	نيري		٣٥	متتيا
٨	يوتام	٨	يوسف	٢٢	اليهود	٢٢	شالتئيل		٣٦	يوسف
٩	أجاز	٩	يهوذا	٢٣	العازار	٢٣	زربابل		٣٧	ينا
١٠	حزقيا	١٠	شمعون	٢٤	متان	٢٤	ريسا		٣٨	ملكي
١١	منسي	١١	لاوي	٢٥	يعقوب	٢٥	يوحنا		٣٩	لاوي
١٢	أمون	١٢	متات	٢٦	يوسف	٢٦	يهوذا		٤٠	متات
١٣	يوشيا	١٣	يوريوم	٢٧	عيسى	٢٧	يوسف		٤١	عالي
١٤	يكنيا	١٤	عازر			٢٨	شمعي		٤٢	يوسف
									٤٣	عيسى

ويظهر جليًا التضارب الشديد بين متى ولوقا من حيث:

١- الأجداد قبل إبراهيم: لا يذكر متّى عنها شيئًا.

٢- يزيد لوقا في أعداد أجداد المسيح من إبراهيم إلى داود فيذكر ١٥ جدًّا أما متى فيذكر ١٤ جدًا .

٣ ــ الأجداد من بعد داود إلى جانب الاختلاف الشديد فى الأسماء تختلف الأعداد اختلافاً كبيراً إذ يذكر متى ٢٦ جداً ، أما لوقا فيذكر ٤١ جداً .

ثالثًا : الاختلاف بين اليهودية والمسيحية والإسلام فى أصول الإيمان

جاءت أصول الإيمان فى القرآن وكتب العهدين متباينة تبايناً واضحاً يئد معه كل محاولة للقول بتأثير وتأثر بين سابق ولاحق ، وذلك على النحو الآتى : ــ

١- الألوهية: فى اليهودية الإله عنصرى قبليّ ذو صفات بشرية، وفى المسيحية الإله مثلث، أحد أضلاعه ابن يولد لأب يسمح بتقديمه إلى الضرب والإهانة والصلب والموت، ثم يقوم الإله الميت من قبره ويصعد إلى جوار أبيه، وبدون أن يلقى عوناً من أبيه أو من الروح القدس الرب الثالث المنبثق من الأب الوالد والابن المولود، أما فى الإسلام فالله واحد أحد فرد صمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد .

٢- النبوة: تكون النبوة فى اليهودية فردية وجماعية وتكتسب بالتعليم، وفى النصرانية مرسل الأنبياء هو المسيح، وفى الإسلام النبوة اصطفاء من الخالق لبعض عباده المؤيَّدين بما يثبت صدق دعواهم فى التبليغ عن ربهم.

٣- اليوم الآخر: تصمت اليهودية، ولا تنضبط المعتقدات الغامضة للنصارى فيه، ويفصّل الإسلام أخبار اليوم الآخر تفصيلا دقيقاً.

٤- الكتب السماوية: يكفر اليهود بالإنجيل والقرآن، ويكفر النصارى بالقرآن، ويؤمن المسلمون بجميع الكتب السماوية التى أنزلها الله على رسله وثبتت صحة سندها إليهم.

٥ ــ الملائكة: يصور العهد القديم الملائكة على أنهم أبناء الله المجتمعون فى

حضرة رب السماء ومعهم الشيطان [1]، وفى بدء الخليقة اتخذوا صورة بشرية حيث تزوجوا من بنات آدم وأنجبوا منهن عمالقة جبابرة [2].

ويقدم العهد الجديد الملائكة على أنهم أبناء الله الذين لا يموتون[3]، وهم واقعون تحت سلطان الخطيئة حيث يخطئون فيُقيدون فى السلاسل ويطرحون فى جهنم [4]، والذى يقوم بمحاسبتهم هم رسل المسيح [5].

أما الملائكة فى الإسلام فمخلوقات نورانية منزّهة عن الخصائص البشرية ومبّرأة من المعصية، فهم عباد مكرمون مفطورون على الطاعة لا يعصون الله ما أمرهم وكلّفهم به من أعمال[6].

٦ـ القدر، بينما فى الإسلام لا يقع شيء فى الكون سواء أكان مادياً أم كان متعلقاً بأفعال الإنسان إلا بإذن الله، وأن جميع تلك الأحداث مسطورة بعلم الله فى كتاب سابق، فإن المسيحية ترجع الأفعال إلى المحبة، ولا يتضح فى اليهودية أى تأثير للقدرة الإلهية على أفعال العباد .

وكما اختلفت أصول الإيمان بين الديانات الثلاث اختلف الأساس الذى يقوم عليه الإيمان:

ففى اليهودية الإيمان وراثيّ عنصريّ، وفى المسيحية يقوم الإيمان على إلغاء العقل، كما أرسى ذلك القديس أوغسطين فى محاورته: ((أنا أؤمن لأنى لا أعقل))، والقديس ((أنسلم أسقف كانتربورى)) : ((آمن كى تعقل)) [7] .

أما القرآن فلم يكتف بإعلان عدم فرض الإيمان من الخارج: ﴿فَمَن شَاء فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاء فَلْيَكْفُرْ﴾ **(الكهف/٢٩)**. ولكنه أدان بقوة كل اتباع أعمى يلقى

---

(١) العهد القديم (نسخة الكاثوليك)، سفر أيوب (٦/١ ـ ٧، ٢/١ ـ ٢)، دار المشرق . بيروت ١٩٨٩م .

(٢) العهد القديم ، سفر التكوين (٦ / ١ ـ ٤) ، مرجع سابق .

(٣) العهد الجديد (نسخة الكاثوليك) ، إنجيل لوقا (٢٠ / ٣٦) ، دار المشرق . بيروت ١٩٨٩م .

(٤) العهد الجديد ، رسالة بطرس (٢ / ٤) ، رسالة يهوذا (١ / ٦) مرجع سابق.

(٥) العهد الجديد ، الرسالة إلى أهل كورنثوس (٦ / ٢ ـ ٣) .

(٦) البيجورى ، تحفة المريد فى شرح جوهرة التوحيد ، ص ١٣١ ، دار الكتب العلمية. بيروت ١٩٨٣م .
ـ عمر الأشقر ، عالم الملائكة ، ص ٢٢ ، ٣٢ ، دار النفائس. الأردن ١٩٩٥م .

(٧) راجع ترجمة المحاورتين لدى: حسن حنفى، نماذج من الفلسفة المسيحية، الأنجلو المصرية. القاهرة ١٩٨٨م .

بزمامه إلى سلطة لا تستند إلى العقل:﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللّهُ قَالُواْ بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لاَ يَعْقِلُونَ شَيْئاً وَلاَ يَهْتَدُونَ﴾(البقرة/١٧٠)، وقد دعى دائما وباستمرار إلى التأمل الفردي المنسحب من تأثير الوسط الخارجي والأفكار المسبقة ومن كل فكرة مستقاة بدون تمحيص: ﴿ قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُم بِوَاحِدَةٍ أَن تَقُومُوا لِلَّهِ مَثْنَى وَفُرَادَى ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلاَّ نَذِيرٌ لَّكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾ (سبأ/٤٦).

وقد أقرّ المنصِّر لودوفيكو مرتّشي بذلك التفرد للإسلام فى مقدمته الجدلية ((دحض القرآن)) حينما كان يفتش عن سر إقبال الوثنية على الإسلام دون المسيحية. يقول مرتّشي: ((القرآن والإنجيل حين يعرضان على غير المؤمنين فإنهم يفضلون القرآن على الإنجيل، ويجب ألا نشك فى أن كتاب محمد لا يقدم للعقل أفكاراً يصعب على العقل فهمها لا سيما العقل الفاسد وعدو الغموض)).

فمثلا لا يوجد إلا إله واحد حكيم وقدير، خالق الأشياء كلها ومدبرها، ومخالف للحوادث، ويجب أن يصلى له بخشوع وخضوع، وأن يكون الإنسان متسامحاً مع الفقراء، ويؤدى مناسك الحج، ويطهر بدنه بالصيام، ويحافظ على العدل والوسطية وطيبة القلب والشفعة، وكذلك كل الفضائل السهلة الأخرى، فلا يجوز أن يُؤذى إنسان بل يجب أن يُحمى من السرقة والقتل والزنا وأى جريمة أيا كانت، ويجب أن يحتقر كل ما فى الدنيا باعتباره عابراً وغير ثابت، ويستمسك فقط بالأعمال الصالحة التى لن يضيع أجرها وسيكون لنا فى النهاية يوم نعود فيه إلى الله لنجزى على ما فعلنا: فالطيبون سيجدون فى السماء نعيماً مقيماً وما يشتهون وسيذوق الأشرار فى جهنم عذاباً لا نهاية له.

كل هذه المبادىء وغيرها تنتشر فى القرآن بطريقة مفهومة وواضحة أكثر من المبادىء الإنجيلية.

ومن ناحية أخرى إذا سمع أحد الوثنين كلام أحد المبشرين أن الإله الحق الواحد الذى يتكلم عنه واحد وثلاثة، وأن الإله حلَّ فى رجل، وأنه فقير، وأنه عانى وصلب ومات ودفن وكان هو نفسه معجزة، وفى سر القربان المقدس أن سر التوبة ضرورى مطلقاً، وأن الزواج الأحادى لابد منه وأن الرباط المقدس لا يفصم، وأن

الحياة يجب أن تكون صليباً مفصلا، وأنه يجب أن يحسن الإنسان حتى إلى أعدائه، وأن السعادة الحقة تكمن فى أشياء لا تراها العين، ولم تسمعها الأذن ولم تخطر لا على قلب الإنسان، وحكم أخرى مشابهة تكون فى متناول السماع الإنسانى أو تكون صعبة جدا إن لم تكن مستحيلة بالنسبة لحياتنا وحماقتنا الطبيعية.

فأى وثنيّ سيسمع هذه الأشياء ويقارنها بمذهب القرآن انظر إلى أيّ جهة سيتوجه؟ [١] .

رابعًا: أثر القرآن والتوراة والإنجيل فى الارتقاء بجوانب الحضارة الإنسانية

جاءت الكتب السماوية لهداية الإنسان وإرشاده إلى ربه وتحقيق العبودية الكاملة له، ثم لمساعدة الإنسان فى القيام بأعباء الاستخلاف فى الأرض.

وهنا يبرز التفاوت الكبير فى أثر القرآن والتوراة والأناجيل فى تنظيم حياة الإنسان ورقيه الحضارى.

ويبدأ هذا التفاوت من منهج المعالجة، فبينما يغيب معنى الإنسانية عن العهد القديم، ويختفى من العهد الجديد الجانب التشريعى، نجد الشمول [٢] فى المعالجات القرآنية لقضايا الاعتقاد والتشريع والنفس الإنسانية والسلوك: يقول تعالى: ﴿ **مَّا فَرَّطْنَا فِي الكِتَابِ مِن شَيْءٍ** ﴾ (**الأنعام/٣٨**).

فالقرآن يتناول حقائق الكون والحياة بدءاً من ذرة الوجود المستودعة فى باطن الصخر والمستقرة فى أعماق البحار﴿ **يَا بُنَيَّ إِنَّهَا إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَاوَاتِ أَوْ فِي الأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ**﴾ (**لقمان/١٦**) إلى النجم السابح فى فلكه نحو مستقره المعلوم: ﴿ **وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ**﴾ (**يس/٣٨**).

وكذلك يتقصى أبعد الجوانب فى النفس الإنسانية مسجلا أدق الانفعالات والخلجات الشعورية، ونتيجة التعمق فى تناول النفس الإنسانية جاءت تقريراته

---

(١) نقلا عن عبد الرحمن بدوى ، دفاع عن القرآن ، ص ١٤١ ــ ١٤٢ .

(٢) مالك بن نبى، الظاهرة القرآنية، بترجمة عبد الصبور شاهين، ص١٨٧، دار الفكر. دمشق١٤٠٢هـ ـــ ١٩٨١م.

الأخلاقية ثمرة للمعرفة العميقة بالطبيعة الإنسانية، فسجل القرآن خرائط تفصيلية للفضائل الإنسانية المتجسدة لدى الأسوة الحسنة من الأنبياء والرسل، وبيّن ما يجب على ذي الخلق اجتنابه من رذائل الأعمال وكبائر الإثم والفواحش.

أما تاريخ الإنسانية فيتجه القرآن نحو ماضيها البعيد، ويوجّه مستقبلها، ويُعلم بحاضرها من خلال تتبّع أخّاذ لمشاهد الحضارات وارتقاء الأمم.

ويتجلى التفاوت الكبير بين أثر القرآن وكلٌ من العهد القديم والعهد الجديد في الارتقاء بجوانب الحضارة الإنسانية، في الجوانب التالية:

الأول: الأخلاق

جاءت التعاليم الأخلاقية في العهد القديم قاصرة على توجيه بني إسرائيل وإصلاح الفساد الأخلاقي المتأصل في نفوسهم جيلاً بعد جيل على امتداد عشرات القرون.

فقد وصفهم سفر التثنية من أوائل المكتوبات التوراتية بأنهم: ((جيل متقلب أولاد لا أمانة فيهم)) (1) ، ثم وصفتهم أسفار أنبيائهم الكبار بأن: ((أعمالهم أعمال إثم، وفعل الظلم في أيديهم، أرجلهم إلى الشر تجري وتسرع إلى سفك الدم الذكي، أفكارهم أفكار إثم، في طرقهم اغتصاب وسحق، طريق السلام لم يعرفوه، وليس في مسالكهم عدل، جعلوا لأنفسهم سبيلاً معوجة كل من يسير فيها لا يعرف سلاماً))(2). وجاء أجمع تشخيص لأخلاق اليهود على لسان أرميا: ((وأنتم أسأتم في عملكم أكثر من آبائكم، وها أنتم ذاهبون كل واحد وراء عناد قلبه الشرير))(3).

وكان هذا هو محور التعاليم الأخلاقية في العهد القديم التي دارت حول إصلاح الفساد الأخلاقي وتهذيب النفوس الشريرة ؛ ولذلك جاءت الوصايا العشر وهي أبرز التعاليم الأخلاقية في اليهودية بصيغة السلب أو الانتهاء عن فعل الشر: ((لا تقتل، ولا تزن، ولا تسرق، ولا تشهد على قريبك شهادة زور، ولا تشته امرأة قريبك ولا تشته بيت قريبك ولا حقله ولا عبده ولا أمته ولا ثوره ولا حماره ولا

---

(1) سفر التثنية (٣٢/٢٠).
(2) إشعياء (٢٩/ ٦ــ ٨) .
(3) أرمياء (١٢/١٦) .

كلّ ما لقريبك))[1] فالتعاليم الأخلاقية في اليهودية – إذن – تعاليم خاصة بعنصر بشري ذي طبيعة سلوكية مريضة.

ولم تبتعد التعاليم الأخلاقية في الإنجيل عن ذلك كثيراً، إذ تدعو إلى الكف عن فعل الشر وإلى عدم مقاومته، كما جاء في موعظة المسيح على الجبل ((سمعتم أنه قيل عين بعين وسن بسن، وأما أنا فأقول لكم لا تقاوموا الشر، بل من لطمك على خدك الأيمن فحوّل له الآخر أيضا، ومن أراد أن يخاصمك ويأخذ ثوبك فاترك له الرداء أيضا، ومن سخّرك ميلاً واحداً فاذهب معه اثنين، من سألك فأعطه، ومن أراد أن يقترض منك فلا ترده.

سمعتم أنه قيل تحب قريبك وتبغض عدوّك، وأما أنا فأقول لكم أحبوا أعداءكم باركوا لاعنيكم أحسنوا إلى مبغضيكم، وصلّوا لأجل الذين يسيئون إليكم ويطردونكم)) [2].

وكما أن هذه التعاليم الأخلاقية قد جاءت ــ خاصة ــ للحد من غلواء بني إسرائيل الذين أرسل المسيح إليهم، فإنها إلى جانب ذلك تعاليم غير واقعية لا يقدر عليها كثير من البشر، حتى المسيح نفسه ــ كما تحكي عنه الأناجيل ــ عندما لطمه أحد خدّام رئيس الكهنة لم يدر له المسيح خده الآخر، بل قال له: ((إن كنتُ تكلمت رديّاً فاشهد على الردي، وإن حسناً فلماذا تضربني ؟)) [3].

أما القرآن فقد اشتمل على دستور أخلاقي متكامل يقوم على عناصر ثلاثة هي:[4]

١- **المعرفة**، حيث فاضت نظرية الأخلاق الإسلامية بأمهات المسائل والقضايا الأخلاقية المتعلقة بمبادئ الأخلاق، وأصولها، وطبيعتها، وطرق اكتسابها، وغايتها، ومصادر الإلزام فيها.

٢- **التربية**، وهى الوسائل والوسائط الأخلاقية المنوط بها تحويل المعرفة

---

(١) سفر التثنية (٥/١٧ ــ ٢١) ، وانظر : سفر الخروج (٢٠/١٣ ــ ١٦) .

(٢) إنجيل متى (٥/ ٣٨ ــ ٤٤) .

(٣) إنجيل يوحنا (١٨ / ٢٣) .

(٤) عبد الراضى محمد عبد المحسن ، أسس فلسفة الأخلاق الإسلامية ، ص ٤١ ــ ٧٢ ، مجلة الجمعية الفلسفية المصرية ، السنة السادسة . عدد ٦ ، القاهرة ١٤١٨هـ ــ ١٩٩٧م .

والمبادئ الأخلاقية إلى سلوك عملى، أى أنها تخرج الأخلاق من حالة القوة إلى الفعل من النظرية إلى التطبيق، وهذا العنصر تتفرد به منظومة الأخلاق فى الإسلام، حيث تقدم دستورها الأخلاقى مقروناً بمنهج تطبيقه، وبوسائل نقله من حالة النظر المجرد إلى واقع الحياة والعمل، عن طريق الوسائل الدافعة، مثل: القدوة الصالحة، الموعظة، الصحبة، والوسائل المانعة، مثل: الاعتبار، العقوبة.

٣- **السلوك**، وهو الأفعال الأخلاقية الإرادية التى تشمل الفعل الظاهر وأعمال القلب من نية وإرادة واعتقاد، مما يترتب عليه الجزاء والمسئولية سواء أكان متعلقاً بعلاقة الفرد بنفسه أم بالمجتمع أم بالكائنات الحية الأخرى، وهذا المفهوم جعل الحياة، الإنسانية كلها ميداناً للعمل الأخلاقي فى الإسلام.

ويعنى هذا أن الأخلاق الدينية جزء رئيسي - من - العمل الأخلاقي فى الإسلام، وهذا مما تفردت به - كذلك - منظومة الأخلاق فى الإسلام.

ويمكن القول إن دستور الأخلاق الإسلامية هو الدستور الوحيد متكامل الجوانب فى تاريخ الأخلاق ذات المصدر الديني أو الفلسفي، بما تضمنه من دائرة خطاب تشمل الإنسانية كلها، وبما اشتمل عليه التكليف الأخلاقي من دوائر ثلاث:

١ ــ فعل الخير والدعوة إليه.

٢ ــ اجتناب الشر ودواعيه.

٣ ــ مقاومة الشر والتصدى له، وهو ما يجعل مبادئ الأخلاق فيه إيجابية بخلاف غيره.

وإلى جانب هذا التكامل فى الجوانب الأخلاقية فى الإسلام ، هناك الوسطية والواقعية التى تعد أهم خصائص الدستور الأخلاقي فى الإسلام والتى تمكن بها من أن يكون الدستور الأخلاقي الوحيد الذي طُبِّق بحذافيره من قِبلَ مبلِّغه محمد (ﷺ)، ومن قِبلَ صحابته الأخيار والأجيال الفاضلة من بعدهم ، ولازال يطبّق حتى يوم الناس هذا .

الثانى: المجتمع

على أرض فلسطين وضع العهد القديم أسس مجتمع عنصريّ خاص

بالعبرانيين لذلك فإن الدول التى كوّنها شعب العهد على أرض فلسطين حملت أسماءه العنصرية السلالية، دولة يهوذا فى الجنوب ودولة إسرائيل فى الشمال .

ولزم عن ذلك أن حق الحياة وحق المواطنة الكاملة كانتا مكفولتين للإسرائيلي فقط، أما غير الإسرائيلى فحكمه إما القتل وإما الاستعباد. يقول سفر التثنية: ((وحين تقرب مدينة لكى تحاربها استدعها للصلح، فإن أجابتك إلى الصلح وفتحت لك، فكل الشعب الموجود فيها يكون للتسخير ويستعبد لك.

وإن لم تسالمك بل عملت معك حربا فحاصرها، وإذا دفعها الرب إلى يدك فاضرب جميع ذكورها بحد السيف، وأما النساء والأطفال والبهائم وكل ما في المدينة كل غنيمتها لنفسك ، وتأكل غنيمة أعدائك التى أعطاها الرب إلهك .

هكذا تفعل بجميع المدن البعيدة منك جدا التى ليست من مدن هذه الأمم هنا، وأما مدن هذه الشعوب التى يعطيك الرب إلهك نصيباً فلا تستبق منها نسمة ما))[1].

وقد لخص مناحيم بيجن رئيس الوزراء اليهودي واجب اليهود تجاه المجتمع الإنسانى كما تعلمه من التوراة ، قائلا : ((بالدم والنار والدموع والدخان وبنوعٍ جديد من الإنسانية ، نوع مجهول للعالم منذ أكثر من ألف وثمانمائة عام اليهودي المحارب، قبل كل شيء يجب أن نبدأ الهجوم ،. فمن الدم والعرق سوف يولد جيل فخور كريم قوي))[2].

وفى جانب المعاملات مع غير اليهود يوصى العهد القديم أتباعه قائلا: ((للأجنبى تقرض بربا ولكن لأخيك لا تقرض بربا))[3]. ويشدد على أهمية التضييق على الأجانب فى المعاملات قائلا: ((الأجنبى تطالب وأما ما كان لك عند أخيك فتبرئه يدك منه)) [4].

لكن المسيحية فتحت الباب أمام الوثنيين فى حق الحياة والمواطنة، إلا أن

---

(١) سفر التثنية (٣٠ / ١٠ ــ ١٦) .

(٢) رشاد عبد الله الشامى، الشخصية اليهودية، ص١٨٦، سلسلة عالم المعرفة العدد(١٠٢). وزارة الإعلام بالكويت.

(٣) سفر التثنية (٢٣ / ٢٠) .

(٤) سفر التثنية (١٥ / ٣) .

روح الاستعباد والتدمير ما فتئت حية فى الخلق المسيحيّ، فلازالت ((المدنية الأوربية فى واقعها وثنية مادية لا تؤمن بغير القوة))[1]، وقد اتضح ذلك من خلال ممارسات الحروب الصليبية ومحاكم التفتيش، والحروب التدميرية العالمية الأولى والثانية، والحروب الاستعمارية الطويلة ضد العالم الإسلامى، وفى أيامنا هذه حروب الإبادة ضد المسلمين فى أوربا كحرب البوسنة والهرسك، وحرب كوسوفا.

أما القرآن فقد أرسى دعائم مجتمع إنساني متكافىء دعامة التميز فيه هى التقوى. قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ (الحجرات/١٣).

وأساس الحكم فيه العدل بين الجميع حتى الخصوم والأعداء منهم. قال تعالى:

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ (المائدة/٨)، وحق الحياة مكفول للجميع ، فحرمة النفس ذات شأن عظيم القدر ﴿ مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا﴾ (المائدة/٣٢).

ولذلك انصهرت فى بوتقة الإسلام مختلف الأمم والشعوب التى ضمتها دولته، بل برزت من أبناء الشعوب الإسلامية غير العربية قمم فى العلوم التجريبية والعربية والإسلامية، فكان ظاهرة ملفتة للنظر.

بل إن أبناء أهل الكتاب من اليهود والنصارى أتيحت لهم فرص النبوغ والتفوق العلمي فى ظل الدولة الإسلامية، فعاش واشتهر موسى بن ميمون، وسعديا الفيومي، وابن كمونة، ويوحنا الدمشقي، وابن العسال، وغيرهم ممن تبّوأ كذلك المناصب الإدارية العالية فى الدولة الإسلامية.

الثالث: العلم

لمّا كان العهد القديم كتاب إصلاح لجماعة محدودة من البشر فى فترة محدودة من الزمن، فإن قضايا العلم وموضوعاته لا تحتل أيّ مكان يعتد به فى أسفاره وإصحاحاته، لأن العلم يتطلب استقراراً روحيا، واجتماعياً، ودافعاً إيمانيًا

---

(١) محمد أسد ، الإسلام على مفترق الطرق ، ص ٤١ ، مرجع سابق .

لخدمة بني الإنسان، وكلها عوامل افتقدها شعب العهد القديم.

لذلك لا يمكن بحال الحديث عن أثر للعهد القديم فى إسهام علميّ أو معرفيّ عبر التاريخ، بل يمكن الحديث عن معوّقات وعراقيل وضعها العهد القديم أمام التطور العلمى، لأن بإمكاننا رصد عدم ظهور أية عقلية علمية يهودية قبل الإسلام، وبخصوص علماء اليهود الذين عرفهم العالم بعد الإسلام فذلك راجع لفضل الإسلام. كما يستبين ذلك عند بحث تأثير الإسلام فى اليهودية والنصرانية .

ولعل أهم أسباب الخصومة بين العهد القديم والعلم، وبالتالى انتفاء أى أثر للعهد القديم فى نشأة العلوم أو تطورها، هو افتقاد رب العهد القديم نفسه صفة العلم التى تمكنه من مجرد القدرة على التمييز بين بيوت أتباعه وبيوت أعدائهم؛ لذلك فإنه لمّا أراد إخراج شعبه من مصر وإنزال العقاب بالمصريين، أمر بني إسرائيل أن يلطِّخوا بيوتهم بالدم كى يميزها عن بيوت المصريين فلا ينزل بها العقاب، يقول سفر الخروج:

((ويكون لكم الدم علامة على البيوت التى أنتم فيها، فأرى الدم وأعبر عنكم فلا يكون عليكم ضربة للهلاك حين أضرب أرض مصر))(١).

ولم تكن المسيحية أقل هوادة فى خصومتها للعلم إستناداً لقول بولس الرسول مؤلف الجزء الأكبر من أسفار العهد الجديد : ((حكمة هذا العالم حماقة عند الله . إن الرب عليم بأفكار الحكماء ويعلم أنها باطلة)) (٢).

ولذلك استأسدت الكنيسة فى حربها ضد العلم والعلماء ، فلما تجرّأ جاليليو على مقاومة اعتقاد الكنيسة فى أن الأرض محمولة على قرنى ثور وأن الشمس تدور حولها ، وأعلن أن الأرض هى التى تدور حول الشمس ، كان جزاؤه التكفير والمطاردة ، ولم يصدر الفاتيكان وثيقة تبرئة جاليليو من الكفر إلا عام ١٩٩٢م (٣).

وقد كان كل ذلك طبيعياً ومتفقاً مع فكرة مؤلفي العهد الجديد عن العالم والتى

---

(١) سفر الخروج (١٢ / ١٣) .

(٢) الرسالة الأولى إلى قورنتس (٣ / ١٩ ــ ٢٠) وانظر : (١ / ١٩ ، ٢٠ ، ٢٧) .

(٣) محمد السماك، مقدمة إلى الحوار الإسلامي ــ المسيحي،ص١٠٩، دار النفائس،بيروت١٤١٨هــ ــ١٩٩٨م .

جاءت غير علمية بالمرة [1] .

مما دفع بالعلامة ((ماكس بلانك)) لإصدار حكمه الشهير عام ١٩٤٧ م ، بأنه : ((للإبقاء على قيمة ما للمسيحية للعالم المعاصر ومن ثمّ للعالم الغربى ، يجب على الإنسان أن يقرر بإخلاص التخلى عن المعجزات التى تشكل عائقاً شائكاً أمام وصول المسيحية إلى إنسان الحضارة المعاصرة بسبب تعارضها مع العلم)) [2].

وبالفعل لم يتقدم العالم المسيحي علمياً إلا بتأثير الحضارة الإسلامية، وبعد الفصل بين ديانة العهد الجديد وتعاليمه، وبين شؤون الدنيا ومنها العلم، يقول محمد أسد :

((وهكذا تكون نسبة نتاج المدنية الغربية الحديثة إلى النصرانية خطأ تاريخياً عظيماً، إن النصرانية ساهمت فى جزء يسير جداً من الرقيّ العلمي المادي الذى فاق به الغرب فى مدنيته الحاضرة كل ما سواه. وفى الحق أن ذلك النتاج قد برز من كفاح أوربا المتطاول للكنيسة المسيحية ولاستشرافها للحياة)) [3].

أما القرآن فكان أكثر الكتب احتفاء بالعلم حيث وردت لفظة العلم ومشتقاتها أكثر من ٨٢٣ مرة؛ لأن العلم فى القرآن أحد وسائل المعرفة التى منحها الله للإنسان لمساعدته فى القيام بأعباء الاستخلاف فى الأرض ولمعرفة الله تعالى والإيمان به؛ لذلك استشهد الله تعالى على وحدانيته بشهادة العلماء: ﴿ شَهِدَ اللّهُ أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ وَالْمَلاَئِكَةُ وَأُوْلُواْ الْعِلْمِ قَآئِمَاً بِالْقِسْطِ ﴾ (آل عمران/١٨)، فالعلماء أكثر الناس خشية لله بما علموا من خلقه: ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ (فاطر/٢٨).

وقد بلغ عدد الآيات القرآنية المتعلقة بالعلوم وحقائقها أكثر من ٧٥٠ آية، شملت معظم مجالات العلم: كالفلك، والطب، والجيولوجيا، والزراعة، وعالم النبات، والحيوان، والتناسل، والاقتصاد، والتجارة، والزراعة، وعالم البحار ...إلخ.

لذلك جاء أثر القرآن فى تطور العلم وتأسيس العلوم والمعارف بعيداً

---

(١) Willim Born, Christlicher Glaube und Naturwissenschaft , S : 4, Blefeld 1954.

(٢) Hermann Lais , Was sagt die Kirche zum Wunder ? S : 18 , in : Wunder umd Magie , Gesmmelten Beitraege , Wuerzburg 1962 .

(٣) محمد أسد ، الإسلام على مفترق الطرق ، ص ٤٠ ، ٤٦ ، مرجع سابق .

ومدهشاً[1]. يقول روم لاندو : ((ففى الإسلام لم يُوَلِّ كلٌّ من الدين والعلم ظهره للآخر ويتخذ طريقاً معاكسة .لا ، والواقع أن الأول كان باعثاً من البواعث الرئيسة للثانى إن الرياضيات هى كما نعلم أمُّ العلوم التجريبية كلها ، ولقد لعبت الرياضيات من غير ريب دوراً حاسماً فى العلم العربي ، ومع ذلك فحتى فى علم تجريدى كالرياضيات كان الدين كما سوف نعلم هو الذى قرر طبيعة منجزات العرب ومداها، ولم يكن لدى العرب فى الأصل أى رياضيات خاصة بهم طبعاً)) [2].

وحينما تتبع لاندو الفترة الزمنية التى احتاجها المسلمون لتشييد الصروح الشامخة للتقدم العلمي وجد أنهم : ((أحرزوه خلال مائتى سنة انقضت على وفاة الرسول ليس غير ، وعمق ذلك التقدم أمز يدعو إلى الذهول حقاً .

ذلك بأن علينا أن نتذكر أيضا أن النصرانية احتاجت إلى نحو من ألف وخمسمائة سنة لكى تنشئ ما يمكن أن يدعى حضارة مسيحية))[3].

ويلخّص قاموس ((برتلس مان)) لديانات العالم المجالات العلمية التى طورها المسلمون ، والمجالات البحثية التى أنشأوها ، قائلا :

((تلقى الغرب من الشرق الإسلامي معارف هامة في مجالات كثيرة، فقد جمع المسلمون علوم العالم ومعارفه: هندية، بابلية، مصرية، فارسية، ويونانية، وترجموا أهم الكتب والمصادر، ونقلوا تلك العلوم والمعارف إلى الآخرين ثانية .

وفى الآن نفسه أسسوا قواعد البحث العلمي فى مجالات: الجبر، الحساب، الكيمياء، الفيزياء، الجيولوجيا.

وكان استخدام الصفر العربي أساس التقدم فى الرياضيات الحديثة، وأكمل المسلمون ما أخذوه من معرفة فلكية من البابليين واليونان بواسطة ملاحظاتهم الفلكية

---

(١) فى ذلك يقول جورج سارطون مؤرخ العلوم: ((إن معجزة العلم العربى كانت ترجع فى الأكثر إلى الأثر الذى حدث بفعل النشاط والجد العربيين. وبفعل الإيمان الإسلامى)). نقلا عن ترجمة عمر فروخ لمحاضرة سارطون التى دعت إليها مؤسسة جورج ل كايزر .

راجع . الفيومى ، الاستشراق والاستعمار ، ص ٤٣٥ . مرجع سابق .

(٢) روم لاندو، الإسلام والعرب، ص ٢٤٦، بترجمة منير البعلبكى، دار العلم للملايين ، بيروت ١٩٧٧م .

(٣) السابق.

الدقيقة.

واكتشف الأطباء المسلمون لأول مرة فى تاريخ العلم الدورة الدموية، وامتلكوا معرفة عن العدوى والتعقيم، ووقفوا على وظيفة الرحم، وقاموا بعمليات التخدير الكامل ، وخطوا خطوات واسعة فى طرق وأساليب الجراحة .

وعلى أيديهم تطور علم الوسائط الطبية تطوراً كبيراً، وكذلك العناية بالمرضى فى المستشفيات كانت نموذجية، وعُمّمت لتشمل الطبقات الفقيرة .

وظلّت صناعات الحديد الإسلامية لا تبارى لأزمان طويلة، واخترع المسلمون البوصلة ، واستعملها بحارتهم فى القرن الحادي عشر الميلادي، ويبدو أثر التقدم المعماري الإسلامي واضحاً فى كل من بريطانيا وفرنسا خاصة فى مجال القلاع والحصون والأسوار والمنارات))[1].

ويظهر أثر القرآن فى تطور العلم بشكل أكثر جلاء حينما نقارن بين أثره فى أمة العرب بعد اعتناقها الإسلام وبين أثر العهدين: القديم والجديد فى أمة اليونان بعد اعتناقها النصرانية.

فقد ارتقى المسلمون العرب أعلى قمم النضج الحضاري والعلمي والعقلي، بينما النصارى اليونانيون كانوا فى أعلى القمم فى الفلسفة والطب، وحينما اعتنقوا النصرانية زالت فلسفتهم، وانقرضت حكمتهم، وولّت علومهم، بسبب تعارض كتابهم المقدس مع العقل والعلم.

ويكشف الجدول الآتي الفارق بين تأثير القرآن في نهضة العلوم والمعارف بعد مائتي عام من نزول القرآن على محمد (ﷺ)، وبين تأثير العهد القديم والعهد الجديد بعد عشرات القرون من تلقيهما بالقبول من أهل الكتاب : [2].

---

(١) Religionen der Welt , S :183 ,Bertlsmann Handbuch , Heraus gegeben von Monika: und Udo Tworuschka .Muenschen Guetersloh 1992

وانظر بالعربية : جوستاف لوبون ، حضارة العرب ، ص ٤٣٥ ، ٥٧٩ ، بترجمة عادل زعيتر ، دار إحياء الكتب العربية . القاهرة ١٩٦٩م .

ــ محمد أسد ، الإسلام على مفترق الطرق ، ص ٤٣ .

(٢) روم لاندو ، الإسلام والعرب ، ص (٢٨٣ ــ ٢٨٧).

جدول كرونولوجي للعلوم في العصور الوسطى

العلـــــوم		في العالم الإسلامي		في أوربا والغرب
(١) الفلك والرياضيات				
*		المثل الأعلى الإسلامي : اللامتناهي		المثل الأعلى الإغريقي في الجمال يقوم على أساس من النسب والأعداد بوصفها مقادير متناهية، اعتبار المكان والزمان سكونين، والكون (كينونة) .
الخوارزمي (٧٨٠ – ٨٥٠ م)		يخترع جبرًا (عصريًّا) يحول الأعداد إلى عناصر علاقة		
البتاني (٨٥٨ – ٩٢٩ م)		يحل الجيب Sine محل الوتر Chord يصطنع الظلال Tangents وظلام التمام Cotangent يقدم فكرات هامة عن النسب المثلثية .		
أبو الوفا (٩٤٠ – ٩٩٧ م)		يخترع طريقة جديدة لوضع جداول الجيب Sine يدخل القاطع Secant وقاطع التمام Cosecant، سبقت دراساته في علم المثلثات دراسات كوبرنيكوس .		
البيروني: (٩٧٣ – ١٠٤٨ م)		يعين خطوط العرض وخطوط الطول يخترع المسائل (البيرونية) يحول الأعداد		

العلـــــوم		في العالم الإسلامي		في أوربا والغرب
		من مجرد كميات ومقادير إلى عناصر وظيفية . الكون عنده (صيرورة) .		
عمر الخيام: (١٠٣٨ –١١٢٣م)		يخترع (جبرًا) متقدمًا يعد تقويمًا أدق من التقويم الغريغوري، صاحب (الرباعيات).		في القرن الثاني عشر ترجم جيرار الكرموني وروبرت التشيستري وغيرهما من العلماء اللاتين المؤلفات العربية في الرياضيات وعلم الفلك .
*		المسلمون يدخلون الأرقام العربية، والصفر، والنظام العشري (القرن التاسع).		أوربا ترفض طوال مائتين وخمسين سنة (حتى القرن الثاني عشر) أن تتبنى النظام العشري .
(٢) الجغرافية وعلم وضع الخرائط:				
الخليفة المأمون(٨١٣– ٨٣٣ م)		يصدر أمره بقياس درجة جغرافية، ويأمر بوضع (صورة للأرض). علماء الفلك: الفرغاني (حوالي ٨٦٠) والبتاني (٩٠٠) والبيروني (حوالي ١٠٣٠) يعدون جداول جغرافية لخطوط الطول والعرض. الملاحون والتجار والحجاج المسلمون يجمعون معلومات جديدة عن البلدان الأجنبية		الإغريق وبطليموس بخاصة، يقدمون الأساس لجهود العلم ومآثرهم الجغرافية .
المسعودي : (٩١٢ – ٩٥٧ م)		يضع أول موسوعة علمية تاريخية – جغرافية		
الإدريسي (١٠٩٩ – ١١٦٦م)		يتصور الأرض كروية. يضع خرائط دقيقة،		آثاره تترجم في روما عام ١٦١٩ م .

العلـــــوم		في العالم الإسلامي		في أوربا والغرب
		يؤلف (كتاب رجار) يصنف موسوعة جغرافية.		
ياقوت الحموي (١١٧٩- ١٢٢٩م)		يؤلف موسوعة في الجغرافية والعلم .		النظرية العربية في (ذروة العالم) أو (قبة أرين) تؤثر في العلماء النصاري تأثيرًا عظيمًا، وتقولب وجهات نظر كولومبس.
ابن بطوطة (١٣٠٤ – ١٣٦٩م)		واحد من أعظم الرحالين في جمع العصور. وفي كتابه معلومات زادت معرفتنا بالشرق الأوسط وبآسيا زيادة عظيمة .		.
الحسن الوزازي(١٤٩٥– ١٥٥٠م)		رحلة عظيم كتب أول كتاب شامل عن أفريقية.		كتابه يترجم على التو في أوربا .
(٣) الطب				
حنين بن إسحاق (٨١٠–٨٧٧م)		أول مترجم للمصنفات الطبية الإغريقية . يضع في الطب كتبًا ذات أصالة .		الإغريق وبخاصة جالينوس وأبقراط ، يقدمون الأساس للطب العربي .
الرازي (٨٦٥ – ٩٢٥م)		واحد من أعظم الأطباء في جميع العصور. يقدم أول وصف سريري للحصبة والجدري، يؤلف أضخم كتاب في الطب.		آثاره تترجم مرات متعددة في أوربا، فتؤثر في الأطباء الغربيين تأثيرًا عظيمًا.
ابن سينا (٩٨٠ – ١٠٣٨ م)		أبعد العلماء المسلمين أثرًا، مؤلف (القانون في الطب) يدرك طبيعة المرض السارية .		كتبه تترجم في أوربا منذ القرن الثاني عشر حتى القرن السابع عشر ، يتمتع بالسلطان الطبي الأعظم، في الغرب .
ابن زهر (١٠٩١ – ١١٦١م)		الطبيب الشهير في بلاط الموحدين في مراكش		كتابه (التيسير) يؤثر في الأطباء الأوربيين تأثيرًا عظيمًا .

العلـــــــوم		في العالم الإسلامي		في أوربا والغرب
ابن رشد (١١٢٦ – ١١٩٨م)		طبيب عظيم لكنه عرف أكثر بالفلسفة .		
ابن الخطيب (١٣١٣ – ١٣٧٤م)		مؤرخ ورجل دولة وطبيب، دافع في رسالته (في الطاعون) عن فكرة العدوى.		
ابن خاتمة (١٣٢٣ – ١٣٦٩م)		مؤلف أهم رسالة عن الطاعون وضعت في القرون الوسطى. يوفق هو وابن الخطيب إلى أن يحل المفهوم القائل بأن الإنسان عضو في الأسرة الكونية متبادل العلاقة معها، محل المفهوم الإغريقي السابق القائل بأن الإنسان كل مستقل بذاته.		
(٤) الكيمياء والخيمياء والفيزياء				
جابر بن حيان (حوالي ٧٧٦م)		أبو الكيمياء والخيمياء الإسلاميتين . يحضر عددًا من المواد الكيميائية الجديدة. يقوم بعمل ذي شأن في حقل المعادن وصناعة الزجاج. يدخل كثيرًا من المصطلحات الكيميائية إلى اللغات الأوربية، خيميائي بارز.		الكيمياء الإغريقية والخيمياء الإغريقية والمصرية كانت هي صاحبة النفوذ الأعظم في نشأة هذين العلمين عند العرب . روبرت التشيستري يقدم في القرن الثاني عشر ، أول ترجمة لاتينية لأحد كتب جابر بن حيان .
الرازي (٨٦٥ – ٩٢٥ م)		اشتهر أكثر ما أشتهر بوصفه طبيبًا ، لكنه يقدم تصنيفًا دقيقًا للمواد والعمليات الكيميائية ، ويعد خيميائيًا بارزًا .		

العلـــــوم		في العالم الإسلامي		في أوربا والغرب
(إخوان الصفا) حركة علمية سياسية في القرن العاشر		يصدرون عددًا من الرسائل الكيميائية والخيميائية، ظهر بعضها باسم جابر بن حيان في الفيزياء، انصب اهتمام المسلمين في المحل الأول على الساعات، والأدوات العاملة بقوة الماء وكانت لهم عناية بالدمى الميكانيكية.		
ابن الهيثم (٩٦٥ – ١٠٣٩ م)		أول عالم يصحح نظريات بطليموس الخاطئة في علم البصريات ، يضع الأسس لعلم البصريات الحديث ، أول من استعمل (الغرفة المظلمة) .		يترك أثرًا كبيرًا في المؤلفين في علم البصريات خلال القرون الوسطى ، وفي جملتهم روجر بيكون، وكبلر، وليوناردو. دافنشي .
(٥) علم النبات والزراعة والبساتين				
*		المسلمون يدخلون إلى أوربا البرتقال، والليمون، والخوخ، والمشمش، والرمان، والزعفران، والقهوة، وزراعة قصب السكر، والأرز، ويدخلون أيضًا عددًا من النباتات الطبية، ويحسنون طرائق الري، والعالم مدين لهم بالنظرة العلمية إلى الزراعة .		
ابن العوام (نهاية القرن الثالث عشر)		يؤلف أهم رسالة في الزراعة في القرون الوسطى، يدرس على نحو علمي تطعيم النبات، والسماد ومعالجة أمراض النبات.		ترجمات فرنسية وأسبانية لكتابه الرئيسي تظهر في القرن التاسع عشر .

العلـــــــوم		فى العالم الإسلامى		فى أوربا والغرب
ابن البيطار (توفي عام ١٢٤٨م)		أعظم عالم نباتي وصيدلي في القرون الوسطى يؤلف أكمل موجز في علم النبات، ويدرس العقاقير والأغذية في توسع .		أوربا لا تعترف بأهميته إلا في القرن التاسع عشر .

* إن مآثر المسلمين البارزة في علم البساتين هي : إدخال الرياحين إلى أوربة والجنائن الفارسية والأندلسية، وإن بعض المنتجات الإسلامية قد نقلت بأسمائها إلى أوربا ، مثل Julep (جلاب) ، Syrup من لفظة (شراب) ، Attar (عطر) . وكانت العطور العربية والفارسية ذات شعبية واسعة في أرجاء الغرب كله .

خامسًا: تأثير الإسلام فى اليهودية والنصرانية

لعل هذا الوجه من أبرز دلائل تهافت المزاعم التنصيرية حول تلفيق القرآن من اليهودية والنصرانية، لأن واقع الأمر وحقيقة الحال أن اتجاه التأثير كان عكسياً، من اللاحق إلى السابق، وليس من السابق إلى اللاحق، وهذا الاتجاه التأثيرى العكسي وإن كان على غير المألوف إلا أن له ما يبرره، حيث جاءت اليهودية والنصرانية دعوة مرحلية لجماعات قبلية محدودة من البشر، فلمّا أرادت تجاوز طبيعتها وأهداف رسالتها احتاجت إلى عناصر تمكنها من ملائمة الدائرة الزمانية والمكانية والثقافية الجديدة التى أرادتها لنفسها، ولمّا كانت تفتقد إلى تلك العناصر التى لم تتوفر إلا للإسلام بحكم طبيعة رسالته العالمية الخاتمة، فإن اليهودية والنصرانية تلمّستا تلك العناصر فى الإسلام واقتبستها منه.

حتى أننا لا ندرى إلى أى مدى يمكن أن تكون ثورات الفكر المسيحي منذ الحركة الألبية حتى حركة الإصلاح البروتستانتى محسوبة كنتائج مباشرة أو غير مباشرة لمفهوم العقيدة فى القرآن(١).

يقول قاموس ((برتلس مان)) لديانات العالم: ((لقد أثّر الإسلام تأثيراً عظيماً فى العقيدة المسيحية والفلسفة، وقاد على سبيل المثال إلى نقاش جديد حول عبادة الصور وتقديسها فى المسيحية)) (٢).

لكن تأثير الإسلام لم يكن قاصراً على العقيدة فى المسيحية فحسب، بل يمتد إلى الشريعة والكتب المقدسة، كذلك فإن تأثير الإسلام تناول اليهودية إلى جانب المسيحية، وذلك فى عدد من الجوانب يمكن إجمالها فيما يلى: ــ

١ – المبادئ الثلاثة عشر التى جعلها موسى بن ميمون أساس الدين اليهودى وأركان الإيمان فيه، فصاغها على غرار أصول الإيمان فى الإسلام، وأدرج فيها بعض أصول الإيمان الإسلامية مما لم يكن معروفا فى اليهودية من قبل أو مدرجاً فى العهد القديم، كالاعتقاد بأن الله عالم، وبالثواب والعقاب فى الآخرة، والاعتقاد

---

(١) مالك بن نبي ، الظاهرة القرآنية ، ص ١٩٢ ، مرجع سابق .

(٢) Religionen der Welt , Bertelsmann Handbuch , S : 183 , ders

فى بعث الموتى[1].

وقد أقر ابن كمونة بعدم ذكر الثواب والعقاب الأخروى فى التوارة وراح يعتذر عن ذلك ويحاول تبريره[2]، وهذا يؤكد اقتباس ابن ميمون هذه الأصول من الإسلام .

٢ ــ تحديد مفهوم النبوة والمعجزة لأول مرة فى اليهودية، والذى جاء إما متأثراً بنظرية الفلاسفة المشائين كالفارابي وابْن سينا، وإما متابعاً لجمهور علماء الإسلام فى استدلالهم على هذه المعتقدات بالنصوص القرآنية [3].

٣ ــ نقد التوارة، يقول ((واكسمان)) صاحب كتاب ((الأدب اليهودى)): ((فى القرن الحادى عشر دخلت الفلسفة اليهودية مرحلة جديدة متأثرة بالمؤلفات الفلسفية الإسلامية والأفكار الإسلامية، وكان من أثر هذا أن بدأ الشك فى التلمود، وبدأت تظهر أفكار حرة، ولم يقتصر الهجوم والنقد الذى قام به القراءون والطوائف المتصلة بهم على التلمود، بل شمل الكتاب المقدس أعظم إنتاج عقلى فى الدين اليهودى)) [4].

٤ ــ إقرار المسيحية بالوظيفة النبوية للمسيح الأرضى عيسى ــ عليه السلام ــ والتى لم تجد لها مكاناً فى وثائق الكنيسة إلا فى قرار مجمع الفاتيكان الثانى عام ١٩٦٥م[5].

٥ ــ دعوة البروتستانت إلى حرية قراءة الكتاب المقدس ورفض احتكار الكنيسة تفسيره والتى فتحت الباب أمام حركة نقد الكتاب المقدس فى الغرب، تلك الحركة المنهجية التى تدين بالفضل لعلماء الإسلام كابن حزم والقرطبى وابن تيمية وابن القيم، وغيرهم.

٦ــ تحريم البروتستانت لعبادة الأيقونات، ومنع وضعها فى الكنائس لأنها عمل وثني.

---

(١) راجع المبادئ الثلاثة عشر فى :
Moses ben Maimone : Sein Leben , Seine Werke und sein Einfluss , S : 112 , Hrsg von : W .Bacher . Leipzig 1908 .

(٢) ابن كمونة ، تنقيح الأبحاث للملل الثلاث ، ص ٤٠ ــ ٤٣ .

(٣) راجع رسالتنا للدكتوراه، النبوة بين اليهودية والمسيحية والإسلام، بمكتبة كلية دار العلوم جامعة القاهرة ١٩٩٦ م .

(٤) نقلا عن إبراهيم موسى هنداوي، الأثر العربى فى الفكر اليهودى. ص١٤٤، مكتبة الأنجلو المصرية ١٩٦٣ م .

(٥) Katechismus der katholischen kirche . Leipzig - schwens 1993 .

وجوه تهافت الدعوى الثانية " القصص القرآني تكرار لقصص التوراة والإنجيل"

سبق القول بأن هذه الدعوى تفصيل للدعوى الأولى، وتحديد لمجمل مزاعمها، وتعيين القصص القرآني بأنه موضع الاقتباس والإفادة من قصص التوراة والإنجيل، ولن يجدى فى رد هذه الشبهة سوى منهج نقد النصوص المقارن لإبراز جوانب التباين بين مرويات القصص القرآني ومنهجها، وبين القصص التوراتي والإنجيل.

وبواسطة هذا المنهج أمكن الوقوف على أربعة وجوه تتهافت معها دعوى تكرار القرآن لقصص التوراة والإنجيل ، وهى :

أولاً: اختلاف منهج القصص فى القرآن عن المنهج القصصي فى التوراة والإنجيل.

يختلف منهج القصص فى القرآن عن المنهج القصصي فى التوراة والإنجيل من عدة جوانب منها :

١ ـــ مصدر القصص، حيث إن الذى يقصُّ فى القرآن هو الله تبارك وتعالى[١]، فهو المتكلم بالكلمة القرآنية، يقول تعالى: ﴿ **نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ**﴾ (يوسف/٣).

ويقول تعالى: ﴿ **نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِالْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى** ﴾ (الكهف/١٣).

أما فى التوراة والإنجيل فالله تعالى متحدَّث عنه بطريق الحكاية لتعريف الناس به.

٢- الخيال القصصي، بينما يلعب الخيال القصصي فى التوراة والإنجيل أكبر الأدوار فى صياغة وتشكيل قصصهما، وهو ما كشفت عنه دراسات حديثة تعد

---

(١) التهامى النقرة ، سيكولوجية القصة فى القرآن ، ص ٨٠ ، الشركة التونسية للتوزيع . تونس ١٩٧٤م .

مرجعيات فى هذا الباب، مثل دراسة: جيمس فريزر عن الفلكلور فى العهد القديم[1].

ودراسة: ((زينون كاسيدوفسكي)) عن الحقيقة والأسطورة فى التوراة والتي لخّص فيها.

مكانة الخيال والخرافة في القصص التوراتي، بقوله: ((تناقل اليهود تراثهم الديني من جيل إلى جيل، وساهم الطابع الفلكلوري لنقل الروايات الحقيقية بتطعيمها بكثرة من الخرافات والأساطير والأمثال والأقصوصات، جعلت من الصعب الآن التمييز بين الواقع والخرافة فيها)) [2].

وكذلك الأمر فيما يخص العهد الجديد، مما حدا ((برودولف بولتمان)) أحد رواد مدرسة الأشكال الأدبية وتاريخ الأديان، إلى السعى نحو مشروع تطهير العهد الجديد من الأساطير حتى تكون له قيمة فى الوقت الراهن، بقوله: ((تقف المسيحية اليوم أمام خيار عسير: فبمطالبتها الإيمان بعقائدها فإنها تشق على البشرية بإلزامها التسليم بقصص وخرافات أسطورية عفا عليها الزمن.

فإن كان هذا المطلب غير ممكن التحقيق ويترتب عليه التساؤل عما إذا كان العهد الجديد يتضمن ذاتية مستقلة عن عالم الأساطير ! ؟

فإن الواجب اللازم للباحث فى الأديان تطهير الدعوة المسيحية من الأساطير تطهيراً كاملا، وليس جزئياً، فإما أن يقبل المرء الأساطير أو يرفضها كلية)) [3].

أما القرآن الكريم فلا يعرف الخيال القصصي طريقاً إلى مادة مروياته، حيث يلجأ القرآن فى قصصه إلى الاحتكام لمعياره النقدي فى الأخبار: ﴿ **إِن جَاءكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا** ﴾ (**الحجرات/٦**).

فهو يطالب قارئ قصصه بتلمس دلائل واقعيتها وصدقها التاريخي فى آثارها الماثلة للعيان: ﴿ **قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُواْ فِي الأَرْضِ فَانْظُرُواْ كَيْفَ**

---

(١) جيمس فريزر، الفلكلور فى العهد القديم، بترجمة نبيلة إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٣م .

(٢) زينون كاسيدوفسكي ، الحقيقة والأسطورة فى التوراة ، ص ٥٢ ، الأبجدية للنشر . دمشق ١٩٩٠م .

(٣) Rudolf Bultmonn , Neues Testament und MyThologie , S : 21 , in : Kergma und MyThos, Hrsg. von : Hans - Werner Hamburg 1960.

كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ﴾ (آل عمران/١٣٧).

وقد وقف الأثريون على آثار القصص القرآني الشاهدة على الصدق التاريخي، مثل آثار سيل العرم الذى هدّم سد مأرب باليمن ، فلازالت آثار الجنتين الواقعتين عن يمين السد وشماله موجودة حتى اليوم تؤكد صحة قصة سبأ : ﴿ لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ * فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَى أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ * ذَلِكَ جَزَيْنَاهُم بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ نُجَازِي إِلاَّ الْكَفُورَ * وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَاهِرَةً وَقَدَّرْنَا فِيهَا السَّيْرَ سِيرُوا فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّامًا آمِنِينَ * فَقَالُوا رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَّقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ * وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ إِلاَّ فَرِيقًا مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ * وَمَا كَانَ لَهُ عَلَيْهِم مِّن سُلْطَانٍ إِلاَّ لِنَعْلَمَ مَن يُؤْمِنُ بِالآخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ مِنْهَا فِي شَكٍّ وَرَبُّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ﴾ (سبأ/١٥ــ٢١).

وكذلك اكتشف علماء الآثار النقوش الثمودية فى أرض تبوك ومدائن صالح وتيماء ولازالت مزاراً سياحياً حتى اليوم[١].

ولذلك يصف القرآن قصصه بأنه: ﴿ أَحْسَنَ الْقَصَصِ ﴾ (يوسف/٣)، لما توافر له من علم ومعاينة: ﴿ فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِم بِعِلْمٍ وَمَا كُنَّا غَآئِبِينَ ﴾ (الأعراف/٧)، وما اتسم به من حقيقة وصدق: ﴿ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ ﴾ (آل عمران/٦٢).

٣- التشخيص البيانى، وهو التعبير بالصورة المحسوسة المتخيلة عن المعانى الذهنية والحالات الشعورية والمشاهدات والأحداث الحقيقية، وهذا النهج التشخيصي هو الأداة المفضلة فى القصص القرآني. يقول سيد قطب:

((إن التعبير القرآني يتناول القصة بريشة التصوير المبدعة التى يتناول بها جميع المشاهد والمناظر التى يعرضها فتستحيل القصة حادثاً يقع ومشهداً يجرى لا قصة تروى ولا حادثاً قد مضى)) [٢] .

---

(١) سيرة إسماعيل كاشف ، مصادر التاريخ ، ص ١٦ .

(٢) سيد قطب ، التصوير الفني فى القرآن ، ص ١٥٦ ، دار المعارف ، القاهرة ١٩٦٦م .

٤- التصريح والتلميح، فى الوقت الذى يهتم القرآن بإبراز أدق التفاصيل النفسية والشعورية لأشخاص قصصه، فإنه يكتفى بذلك التشخيص معرضاً عن التصريح بالأسماء كما فى قصة ((العبد الصالح)) ((الفتى)) مع موسى، وكما فى قصة ثمود ﴿ إِذِ انبَعَثَ أَشْقَاهَا ﴾ (الشمس/١٢)، وكما فى مؤمن آل فرعون.

وقد يكون هذا التلميح إلى جانب ملائمته للمنهج القصصي الذى يهتم بإبراز الحدث وقيمته ومغزاه لكونه الهدف من القصّ، فإنه يناسب طبيعة التشريع الإسلامى فيما يخصُّ أسماء النساء مثلا: امرأة نوح وامرأة لوط وامرأة فرعون، وكذلك زوجة إبراهيم هاجر وسارة، وأسماء زوجات النبي (ﷺ)، والمجادلة فى زوجها [١] .

٥ – التجريد الزماني والمكاني ، حيث لا يحدد القرآن زمن الحدث أو مدته أو مكانه إلا ما كان محورياً فى الحدث أو مسرحاً له كمصر فى قصة يوسف، أو المسجد الحرام والمسجد الأقصى فى الإسراء والمعراج ، أو مدة رسالة نوح، أو مدة لبث أهل الكهف فى نومهم، أو المدة التى أماتها الله للمارّ على القرية الخاوية [٢].

وترجع أسباب التجريد فى الزمان والمكان فى قصص القرآن إلى أمرين:

أولهما: عناية القصة بالحدث وتقرير الحقائق الدائمة المستقلة عن الأشخاص، والتي يمكن الإفادة من حكمتها ومغزاها فى كل زمان ومكان بما يتلاءم مع عالمية رسالة القرآن واستمراريتها، فما الأشخاص فى القصص القرآني والحال كذلك إلا أمثلة لتلك الحقائق المقصودة لذاتها [٣] .

الثاني: تحقيق الإيجاز غير المُخِلّ [٤] :

٦ – التنويع بين الإجمال والتفصيل، ففى مواضع: التحذير من العناد والتكذيب والإصرار على الباطل، والتخويف من مصائر المكذبين، يكون الإيجاز

---

(١) حسين علي محمد ، القرآن ونظرية الفن ، ص ١١٢ ، القاهرة ١٤١٣ هـــ ـــ ١٩٩٢م .

(٢) التهامى نقرة ، سيكلوجية القصة فى القرآن ، ص ٩٧ . مرجع سابق .

حسين علي محمد ، القرآن ونظرية الفن ، ص ١١٣ . مرجع سابق .

(٣) سيد قطب ، فى ظلال القرآن (٢ / ٢١٧) ، دار الشروق . القاهرة ١٤٠٢ هـــ ـــ ١٩٨٢ م .

(٤) عبد الجواد المحص، أدب القصة فى القرآن الكريم، ص٢٥٥، الدار المصرية بالاسكندرية ١٤٢٠هـــ ـــ ٢٠٠٠م.

والفواصل القصيرة دون ذكر للأسماء أو للمحاورات[1] ، فيورد القرآن ــ مثلا ــ فى تسع آيات من سورة الفجر ثلاث قصص لمكذبى الرسل تشمل أعمالهم وعقابهم. قال تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ * إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ * الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلادِ * وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ * وَفِرْعَوْنَ ذِي الأَوْتَادِ * الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلادِ * فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ * فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ * إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ ﴾ (الفجر/٦ــ١٤). وهذا مالا نظير له فى التوراة أو الإنجيل .

٧- عاقبة القصص، يأتى ختام القصة فى القرآن بعكس ختام قصص التوراة والإنجيل حيث تختم القصة مع نهاية السفر أو الإصحاح، ففى قصة يوسف مثلا يفترض أن تكون الخاتمة فى لقاء يوسف بأبيه يعقوب الذى صورته التوراة على النحو التالى: ((فشد يوسف مركبته وصعد لاستقبال إسرائيل أبيه إلى جاسان ، ولما ظهر له وقع على عنقه وبكى على عنقه زماناً. فقال إسرائيل ليوسف أموت الآن بعد ما رأيت وجهك أنك حىّ بعد)) [2].

وعلى الرغم من أن عبارة يعقوب لم تمس سبب العقدة الأصلية فى القصة وهى رؤيا يوسف وتآمر إخوته عليه، فإن القاصّ فى التوراة يكمل الأحداث بعد هذا اللقاء ليصف لقاء يعقوب بالفرعون، والمكان الذى أقطعه لبنى إسرائيل، ومرض يعقوب وموته.

أما ختام القصص فى القرآن فيكون غالباً فى شكل عبرة، أو عظة، أو حكمة، أو تقرير موجز[3]، كما فى قصة السامري مع العجل: ﴿ إِنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ الَّذِي لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴾ (طه/٩٨)، وفى قصة أهل الكهف: ﴿قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا لَهُ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ أَبْصِرْ بِهِ وَأَسْمِعْ مَا لَهُم مِّن دُونِهِ مِن وَلِيٍّ وَلا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا﴾ (الآية ٢٦/ الكهف)، وفى قصة يوسف: ﴿ وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّواْ لَهُ سُجَّدًا وَقَالَ يَا أَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُم مِّنَ الْبَدْوِ مِن بَعْدِ أَن نَّزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِّمَا يَشَاءُ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴾ (يوسف

---

(١) التهامى نقرة ، سيكلوجية القصة فى القرآن ، ص ٩١ .

(٢) سفر التكوين (٤٦ / ٢٩ ــ ٣٠) .

(٣) حسين محمد علي ، القرآن ونظرية الفن ، ص ١١٣ ، مرجع سابق .

الآية/١٠٠)، وفى قصة مريم وابنها المسيح: ﴿ ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ * مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٍ سُبْحَانَهُ إِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴾ (مريم/٣٤ ـ ٣٥).

ثانيًا : تباين أهداف القصص فى القرآن والتوراة والإنجيل

تختلف أهداف القصة فى التوراة والإنجيل عنها فى القرآن، وذلك على النحو التالى:

أ ـ أهداف القصة فى التوراة والإنجيل .

يمثل العهد القديم والجديد سجلا تاريخياً لحياة الشعب الإسرائيلى والنصرانى فهو كتاب تاريخ وتأريخ للاعتقاد والرؤساء والأنساب والتقاليد والنظم الاجتماعية والعلاقات الشخصية ؛ لذلك جاءت عناوين الأسفار ملخّصة لمضمون تاريخها ، مثل سفر التكوين الذى يؤرخ لبدء الخليقة ، وسفر الخروج الذى يؤرخ لخروج اليهود من مصر، وسفر العدد الذى يحصى أعدادهم ، وسفر اللاويين الذى يؤرخ لأحكام الكهنة من بني لاوي، وسفر التثنية الذى يعيد الأحكام والفروض والوصايا .

ولما كان الهدف من الكتابين التأريخ جاءت القصص فيهما فى إطار الهدف العام، فجاءت سردية تأريخية متنوعة ما بين التأريخ للأنساب كما فى الإحصاءات التى يقوم بها العهد القديم لأعداد بنى إسرائيل الداخلين إلى مصر والخارجين منها والداخلين إلى فلسطين والمهجّرين منها .... إلخ .

وكذلك التأريخ لنسب المسيح كما فى شجرتى النسب الشهيرتين لدى متى ولوقا فى العهد الجديد .

وما بين التأريخ للسير الذاتية والتيارات الأدبية ، كما فى خطابات بولس الشخصية لأصدقائه . تيموتاوس [١] ، فيلمون[٢] ، وكما فى التأريخ لقصائد داود فى المناسبات المختلفة [٣].

---

(١) العهد الجديد ، رسالة بولس الأولى إلى تيموتاوس .
العهد الجديد ، رسالة بولس الثانية إلى تيموتاوس .

(٢) العهد الجديد ، رسالة بولس إلى فيلمون .

(٣) العهد القديم ، سفر المزامير ، مزمور رقم : ٤٥ ، ٥٢ ، ٥٤ ، ٨٥ ، ٨٩ .
وانظر : سفر الأمثال ، الإصحاح الأول .

وما بين القصص التأريخي للأحداث ، مثل إنجيل لوقا الذى يصرح مؤلفه أن قصصه تأريخ لأحداث جرت بذكرها الألسنة . يقول لوقا : ((إذ كان كثيرون قد أخذوا بتأليف قصة فى الأمور المتيقنة عندنا كما سلمّها إلينا الذين كانوا منذ البدء معاينين وخدّاما للكلمة .

رأيت أنا أيضا إذ قد تتبّعت كل شيء من الأول بتدقيق أن أكتب على التوالى إليك أيها العزيز ثاوفيلس ؛ لتعرف صحة الكلام الذى عُلِّمْتَ به ، كان فى أيام هيرودس ملك اليهودية .....))[1].

وفى سفر أعمال الرسل يخبر الكاتب أن قصصه تكملة لمشروع القصص التأريخى الذى بدأه فى كتابه إلى ثاوفيلس وتوقف فيه عند رفع المسيح[2].

وربما يكون هذا الهدف التأريخى أحد أهم أسباب مجيء القصص التوراتى والإنجيلى سردياً بارداً غير مؤثر وجدانيا فى المتلقى أو مشوق له .

ب ــ أهداف القصص القرآني

القصص القرآني ليس مسوقاً لذاته ، بل لأجل غايات وأهداف كثيرة يمكن إدراكها بالتفكير والتأمل فى القصص؛ لقوله تعالى: ﴿**فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ** ﴾ (**الأعراف/ ١٧٦**). ومن هذه الأهداف:

١- الاستدلال على التوحيد، وهو من أهم أهداف القصص القرآنى، كما فى قصص إبراهيم مع قومه، ونوح مع قومه، وموسى مع فرعون .... إلخ.

٢- تثبيت الرسول والمؤمنين على الحق الذى يدعون إليه رغم ما يلقونه من مشقة ويتكبدونه من تضحيات، قال تعالى: ﴿ **وَكُلاًّ نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَاء الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ** ﴾ (**هود/١٢٠**).

٣- الحكم والفصل فى مواضع الاختلاف والتضارب فى قصص التوراة والإنجيل، قال تعالى: ﴿ **إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَقُصُّ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَكْثَرَ الَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ** ﴾ (**النمل/٧٦**)، ولعل هذا الهدف الذى حدده القرآن لقصصه أبلغ رد وأوقع

(١) إنجيل لوقا (١ / ١ ــ ٥) .

(٢) العهد الجديد ، سفر أعمال الرسل (١ / ١ ــ ٩) .

دليل على تهافت دعوى الجدليات التنصيرية بأن القرآن تكرار للقصص فى التوراة والإنجيل؛ لأنه يتضمن التفسير المقنع لمواضع التشابه بين القصص القرآني وقصص الكتب السابقة، فما جاءت به الكتب السابقة فى مقام ادعاء المدعي ، أما قصص القرآن فهو حقيقة الحدث الذى جرى يحكيه القاضي الفاصل في دعوى المدّعي، مبيِّنا به وجه الخطأ والصواب فى مزاعم الادعاء ومقرراً الحقيقة التاريخية فى الحدث لكل العالمين.

٤- العظة والاعتبار، قال تعالى: ﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لأُوْلِي الأَلْبَابِ﴾ (**يوسف**/١١١)، ويمكن القول إن معظم قصص القرآن يُقصد به العظة والاعتبار من باب إما قياس الطرد وإما قياس العكس، فما يحيق بالمشركين وبمخالفي الرسل هو جزاء كل من جاء بمثل فعلهم، أما من جاء بعكس فعلهم فله عكس جزائهم.

ولذلك حينما يورد القرآن قصص الفساد الأخلاقي لدى الأمم السابقة ، يقرن ذلك بما تلاه من جزاء ومصير ناله المفسدون ، ويصدّر ذلك بطلب النظر والتأمل فى التلازم بين الذنب والعقاب للاعتبار والتخويف. يقول تعالى عقب قصة قوم لوط: ﴿ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ﴾ (**الأعراف**/٨٤).

ويعقّب القرآن على قصة ثمود بالترهيب من جزاء من يفعل السيئات مثلهم، وبالترغيب فى ثواب من آمن واتقى من قوم صالح. قال تعالى: ﴿ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَّا دَمَّرْنَاهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ * فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً بِمَا ظَلَمُوا إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ * وَأَنجَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾ (**النمل**/٥١ــ٥٣).

٥- الحجة والإقناع، وذلك بإيراد القصة المناسبة للموقف بما تتضمنه من حوار تبرز فيه دعاوى المخالفين القدامى ضد أنبيائهم، ثم تأتى ردود الأنبياء الإقناعية وكأنها ردود من النبي محمد (ﷺ) على قومه أو ردود من كل داعية إلى الإسلام على مخالفيه فى كل زمان ومكان، من ذلك مثلا الحوار الذى جرى بين نوح وقومه. قال تعالى : ﴿وَلاَ أَقُولُ لَكُمْ عِندِي خَزَآئِنُ اللّهِ وَلاَ أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلاَ أَقُولُ إِنِّي مَلَكٌ وَلاَ أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِي أَعْيُنُكُمْ لَن يُؤْتِيَهُمُ اللّهُ خَيْرًا اللّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِي أَنفُسِهِمْ إِنِّي إِذًا لَّمِنَ الظَّالِمِينَ ﴾ (هود /٣١).

٦- إظهار قدرة الله المطلقة، وذلك فى باب الخلق من عدم كقصة خلق آدم، أو الخلق من أم بلا أب كقصة مريم وابنها المسيح عيسى، أو إثبات القدرة على إحياء الموتى كقصة إبراهيم مع الطير، أو البعث والنشور كقصة الذى أماته الله مائة عام ثم بعثه.

ثالثًا : القصص الذى انفرد به القرآن

يعد هذا الدليل من أبرز أدلة ((نقد النص)) وأهمها فى بيان تهافت دعوى تكرار القرآن لقصص التوراة والإنجيل، بسبب كون المصدر المزعوم الإفادة منه يفتقد مادة المرويات القصصية ويجهل كل شىء عنها، وذلك فى حالة القصص الكاملة التى انفرد بها القرآن، ويزيد الأمر قوة فى الإثبات والإفحام عندما تتعلق المرويات ببعض التفاصيل الدقيقة التى أتى بها القرآن فى القصص المتناظرة مما لم تذكره كتب العهدين.

ومن القصص الذى انفرد به القرآن ما يلى : —

أ - القصص الكاملة

مثل قصص: صالح، هود، شعيب، الخضر، ذى القرنين.

ب - تفاصيل دقيقة فى القصص المتناظر انفرد بها القرآن أو خالف فيها كتب التوراة والإنجيل مثل [(١)] :

١- ما جاء فى القرآن الكريم من أمر الله الملائكة بالسجود لآدم وامتناع إبليس عن هذا السجود .

٢- ما ورد فى القرآن الكريم من قصص الخليل عليه السلام مع قومه وتحطيمه لأصنامهم ونظرته فى النجوم ، وحجاجه مع قومه ، ومحاولتهم إحراقه فى النار ، وإسكانه بعض ذريته عند بيت الله الحرام ، واشتراكه هو وابنه إسماعيل فى رفع القواعد من البيت وبناء الكعبة .

---

(١) عبد الجواد المحص ، أباطيل الخصوم حول القصص القرآني ، ص ٤٦ — ٤٨ ، الدار المصرية الاسكندرية ١٤٢٠هـ — ٢٠٠٠م .

٣- ما قصه علينا القرآن الكريم من محاورة بين نوح وابنه الكافر ، وعدم ركوب هذا فى السفينة وغرقه ، ومحاورة نوح مع الله فى ذلك .

٤- ما قصه علينا القرآن الكريم من تمزيق امرأة العزيز قميص يوسف، والأحاديث النسوة ودعوة امرأة العزيز إياهن وتقطيعهن أيديهن.

٥- ما قصه القرآن الكريم عن خبرة سحرة فرعون والتقام العصا التى انقلبت حية لحبالهم وعصيهم وسجودهم وإيمانهم برب هارون وموسى ، ومحاورتهم مع فرعون.

٦- الشخص الثانى الذى أراد سيدنا موسى عليه السلام أن يبطش به من عدوه، فى حين أن العهد القديم يدعى أن هذا الشخص عبرانى .

٧- السامرى الذى صنع العجل لبنى إسرائيل فى حين أن التوراة تذكر أنه هارون عليه السلام .

٨- ما قصه القرآن الكريم عن الرجل المؤمن من آل فرعون الذى كان يكتم إيمانه ، ودافع عن موسى حين هموا بقتله ، وذلك الرجل الذى جاء من أقصى المدينة يسعى فنصح موسى بالخروج من أرض مصر .

٩- القرآن الكريم يذكر أن بنات الشيخ المديني اثنتان ، فى حين أن التوراة تذكر أنهن سبع .

١٠- ما ورد فى القرآن الكريم من محاورة بين فرعون وهامان لأجل بناء صرح ليطلع إلى إله موسى .

١١- ما جاء فى القرآن الكريم من خبر أمر موسى قومه بذبح بقرة معهم .

١٢- أمر الله لقوم موسى بدخول الباب سجداً ومخالفتهم لهذا الأمر .

١٣- قصة أصحاب السبت ومسخهم قردة بعد أن اعتدوا فيه .

١٤- ما قصه القرآن الكريم من تسخير الله الشجر والطير والحديد لداود عليه السلام .

١٥- تسخير الجن والريح لسليمان عليه السلام .

١٦- قصة الهدهد ، وكتاب سليمان لملكة سبأ وإسلامها وإحضار عرشها بلمح البصر من قبل الذى عنده علم الكتاب .

١٧- كلام عيسى فى المهد .

١٨- صنع عيسى من الطين كهيئة الطير وصيرورته طيراً بإذن الله .

١٩- قصة المائدة .

رابعًا : نتائج المقارنة بين القصص المتناظر فى القرآن والتوراة والإنجيل.

لا شك أن المقابلة بين نصوص القصص القرآني ونصوص القصص فى التوراة والإنجيل لتعد معياراً موضوعياً فى بيان تهافت مزاعم الجدليات التنصيرية بتكرار القصص القرآني لقصص العهد القديم والجديد ، وذلك لما يكشف عنه هذا المنهج المقارن للنصوص من اختلافات وفوارق تفصيلية وجوهرية بين متون القصص فى الكتب الثلاثة، مما يحسم بشكل جليّ وقاطع أمر الاقتباس والمتابعة ، وذلك فى ضوء الاعتبارات التالية :

١- تكرار المقتبس لأخطاء مصادره .

٢- وقوع المقتبس فى الخطأ عند محاولته مخالفة المصدر الأصلي ، نظراً لبعد المدة الزمنية التى تفصله عن الأحداث مع قرب المصدر زمنيا من تلك الأحداث ، بل وافتراض معايشته لبعضها .

فإذا ما أضيف إلى تلك الاعتبارات بُعْد موضوعي آخر يتمثل فى الاسترشاد بمقررات العلوم ونتائج مكتشفات علماء الحفريات والآثار فيما يخص مرويات القصص المتعلقة بالحقائق الكونية أو التاريخية .

فإنّ جوانب الموضوعية ولوازم المنهجية العلمية ودواعى الإفادة تكون قد توفرت فى ذلك النهج .

فإن قادت نتائجه إلى أن القصص القرآني قد خالف القصص التوراتي والإنجيلي فى تفصيلات دقيقة، وأن مقررات العلوم: الطبيعية والفيزيائية والإنسانية والأثرية ، قد وافقت التفصيلات القرآنية بينما خطّأت الروايات التوراتية والإنجيلية

، فسوف يكون ذلك أنصع برهان علمي على تهافت مزاعم الجدل التنصيري حول القصص القرآني خاصة، وحول أصالة القرآن عامة.

وسوف تكون المقابلة بين القصص القرآني والقصص فى التوراة والإنجيل ، حول القصص التالية : ـــ

أ ـــ رواية خلق العالم

جاءت قصة خلق العالم فى التوراة فى روايتين من سفر التكوين، أولاهما تسمى الرواية الكهنوتية التى كتبت بواسطة الكهنة فى عصر المنفى ، والثانية رواية (يهوية) ، أى من بين النصوص التوراتية التى تستخدم لفظ (يهوه) للتعبير عن اسم الإله ، وهى أقدم تاريخياً من الرواية الأولى وإن جاءت فى النصوص تالية لها ، على النحو التالى [١] :

الرواية الأولى

((فى البدء خلق الله السموات والأرض ، وكانت الأرض خربة وخالية وعلى وجه الغمر ظلمة وروح الله يرف على وجه المياه . وقال الله ليكن نور فكان نور . ورأى الله النور أنه حسن، وفصل الله بين النور والظلمة . ودعا الله النور نهارا والظلمة دعاها ليلا . وكان مساء وكان صباح يوما واحدا .

وقال الله ليكن جلد فى وسط المياه. وليكن فاصلا بين مياه ومياه . فعمل الله الجلد وفصل بين المياه التى تحت الجلد والمياه التى فوق الجلد . وكان كذلك . ودعا الله الجلد سماء . وكان مساء وكان صباح يوما ثانياً .

وقال الله لتجتمع المياه تحت السماء إلى مكان واحد ولتظهر اليابسة . وكان كذلك . ودعا الله اليابسة أرضاً . ومجتمع المياه دعاه بحارا . ورأى الله ذلك أنه حسن . وقال الله لتنبت الأرض عشبا وبقلا يبزر بزرا وشجرا ذا ثمر يعمل ثمرا كجنسه بزره فيه على الأرض . وكان كذلك . فأخرجت الأرض عشباً وبقلاً يبزر بزرا كجنسه وشجرا يعمل ثمرا بزره فيه كجنسه . ورأى الله ذلك أنه حسن . وكان مساء وكان صباح يوماً ثالثاً .

---

(١) سفر التكوين (١/١ ـــ ٢/ ٩) .

.وقال الله لتكن أنوار فى جلد السماء لتفصل بين النهار والليل . وتكون لآيات وأوقات وأيام وسنين . وتكون أنوارا فى جلد السماء لتنير على الأرض . وكان كذلك. فعمل الله النورين العظيمين. النور الأكبر لحكم النهار والنور الأصغر لحكم الليل. والنجوم. وجعلها الله فى جلد السماء لتنير على الأرض ولتحكم على النهار والليل ولتفصل بين النور والظلمة. ورأى الله ذلك أنه حسن. وكان مساء وكان صباح يوماً رابعاً.

وقال الله لتفض المياه زحّافات ذات نفس حية وليطر طير فوق الأرض على وجه جلد السماء. فخلق الله التنانين العظام وكل ذوات الأنفس الحية الدبابة التى فاضت بها المياه كأجناسها وكل طائر ذى جناح كجنسه. ورأى الله ذلك أنه حسن. وباركها الله قائلا أثمري وأكثري واملأي المياه فى البحار. وليكثر الطير على الأرض. وكان مساء وكان صباح يوماً خامساً .

وقال الله لتخرج الأرض ذوات أنفس حية كجنسها. بهائم ودبابات ووحوش أرض كأجناسها. وكان كذلك. فعمل الله وحوش الأرض كأجناسها والبهائم كأجناسها وجميع دبابات الأرض كأجناسها. ورأى الله ذلك أنه حسن. وقال الله نعمل الإنسان على صورتنا كشبهنا. فيتسلطون على سمك البحر وعلى طير السماء وعلى البهائم وعلى كل الأرض وعلى جميع الدبابات التى تدب على الأرض. فخلق الله الإنسان على صورته. على صورة الله خلقه. ذكر وأنثى خلقهم. وباركهم الله وقال لهم أثمروا واكثروا واملأوا الأرض وأخضعوها وتسلطوا على سمك البحر وعلى طير السماء وعلى كل حيوان يدب على الأرض. وقال الله إني قد أعطيتكم كل بقل يبزر بزرا على وجه الأرض وكل شجر فيه ثمر شجر يبزر بزرا. لكم يكون طعاماً. ولكل حيوان الأرض وكل طير السماء وكل دبابة على الأرض فيها نفس حية أعطيت كل عشب أخضر طعاماً. وكان كذلك.

ورأى الله كل ما عمله فإذا هو حسن جداً. وكان مساء وكان صباح يوماً سادساً.

فأكملت السموات والأرض وكل جندها. وفرغ الله فى اليوم السابع من عمله الذى عمل. فاستراح فى اليوم السابع من جميع عمله الذى عمل. وبارك الله اليوم السابع وقدسه. لأنه فيه استراح من جميع عمله الذى عمل الله خالقا.

الرواية الثانية

((هذه مبادىء السموات والأرض حين خلقت. يوم عمل الرب الإله الأرض والسموات كل شجر البرية لم يكن بعد فى الأرض وكل عشب البرية لم ينبت بعد. لأن الرب الإله لم يكن قد أمطر على الأرض. ولا كان إنسان ليعمل الأرض. ثم كان ضباب يطلع من الأرض ويسقى كل وجه الأرض. وجبل الرب الإله آدم ترابا من الأرض. ونفخ فى أنفه نسمة حيوة. فصار آدم نفسا حية. وغرس الرب الإله جنة فى عدن شرقاً. ووضع هناك آدم الذى جبله. وأنبت الرب الإله من الأرض كل شجرة شهية للنظر وجيدة للأكل)) .

أما رواية خلق العالم فى القرآن فلم تأت مجتمعة فى مكان واحد شأن غيرها من القصص القرآني ، وإنما جاءت متضمنة فى نقاط أساسية هى :

١- خلق السموات والأرض فى مراحل ستّ، قال تعالى :

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ﴾ (سورة ق / ٣٨).

٢- تداخل مراحل خلق السموات مع مراحل خلق الأرض: ﴿ قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَندَادًا ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ * وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِن فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاء لِّلسَّائِلِينَ * ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاء وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ * فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَى فِي كُلِّ سَمَاء أَمْرَهَا وَزَيَّنَّا السَّمَاء الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴾ (فصلت/٩ـ١٢) .

٣- خلق الكون من كومة أوليّة فريدة متماسكة. قال تعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاء كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلا يُؤْمِنُونَ ﴾ (الأنبياء/٣٠).

٤- تعدد السماوات والكواكب التى تشبه الأرض: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الأَرْضِ مِثْلَهُنَّ ﴾ (الطلاق/١٢).

٥- خلق عالم وسيط بين السموات والأرض. قال تعالى: ﴿الَّذِي خَلَقَ

السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ﴾ (الفرقان/٥٩)، ويقول تعالى: ﴿ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ الثَّرَى﴾ (طه/٦).

وتتفق الرواية القرآنية مع الرواية التوراتية فى مسألتين فقط :

١- عدد أدوار الخلق الستة .

٢- جعل النجوم مصدر النور .

أما وجوه الاختلاف فكثيرة يمثل كل منهما خطأ علمياً وقعت فيه الرواية التوراتية، وتأكيداً علمياً على صحة الرواية القرآنية ، وهذه الوجوه هى :

١- انفراد القرآن ببيان كيفية نشأة الكون من الكتلة الأولية التى تفتقت بفعل انفجار كبير يطلق عليه العلم الحديث نظرية الانفجار العظيم ((The Big Bang)) [1].

٢- المراحل الستة فى القرآن مراحل زمنية مديدة وليست ستة أيام بشرية بحساب تعاقب شروقين أو غروبين ، كما يشير إلى ذلك قوله تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ مَا لَكُم مِّن دُونِهِ مِن وَلِيٍّ وَلا شَفِيعٍ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ * يُدَبِّرُ الأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴾ (السجدة/٤ـ٥).

وهذا ما يؤكده علماء الفيزياء الكونية من أن انفصال الأرض عن الشمس كان منذ خمسة آلاف مليون سنة تقريبا، وأن الأرض احتاجت مئات الألوف من السنين كى يبرد سطحها [2] .

ويقابل هذا المفهوم القرآنى لمراحل الخلق الستّ حصر توراتى خاطىء للمراحل الستّ فى ستة أيام بشرية تبدأ بالأحد وتنتهى بالجمعة ويعقبها يوم السبت المقدس يوم الراحة الذى استراح الله ــ تعالى ــ فيه من عملية الخلق، وباركه وقدسه.

ويفسر جيمس فريزر عالم الديانات المقارنة الشهير أسباب وقوع الرواية التوراتية فى هذا الخطأ العلمي الشنيع ، بأن رواية خلق العالم فى التوراة لم تكن سوى

---

(١) كارل ساغان ، الكون ، ص ١٢٤ ، سلسلة عالم المعرفة (١٧٨) ، وزارة الإعلام بالكويت .

(٢) A . K . Wells , Outlines of geoloical History , pp . 3 - 37 , London 1938

وانظر كارل ساغان ، الموضع السابق .

تمهيد من الكهنة لخلع القداسة على يوم السبت يوم العبادة والراحة لدى اليهود [١].

وكان المصدر الذى استقى منه الكهنة تقديس اليوم السابع من أيام الخلق هو ملحمة خلق العالم البابلية (انوما ايليش) [٢] .

وقد ترتب على هذا الخطأ فى رواية الخلق التوراتية خطأ آخر وقعت فيه روايات العهد القديم وكذلك العهد الجديد كما يبدو فى تصور إنجيل لوقا لشجرة أنساب المسيح، ألا وهو حساب عمر الإنسان على الأرض بأنه بدأ فى التاسعة صباح يوم الثالث والعشرين من شهر تشرين الأول عام ٤٠٠٤ قبل الميلاد [٣].

أى قبل ستة آلاف سنة من عامنا هذا .

٣- إشارة القرآن إلى حالة غازية فى بداية عملية الخلق ﴿ ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ ﴾(فصلت/١١). وهى تتطابق مع معطيات العلم الحديث [٤].

٤- وجود العوالم الوسطية التى أخبر القرآن بخلقها بين السموات والأرض يسميها العلم الحديث بالبواقى أو المادة الكونية المنتشرة بين النجوم ، ويصفها بأنها ذات كتل هائلة[٥].

٥- اشتمال رواية العهد القديم – منفردة – على الأخطاء التالية [٦] :-

– الإشارة إلى وجود المياه فى المرحلة الأولى من مراحل الخلق .

– ذكر النور فى اليوم الأول قبل أن تخلق النجوم .

– ذكر الليل والنهار فى اليوم الأول قبل وجود الأرض ودورانها حول الشمس .

– وجود العالم النباتى فى اليوم الثالث قبل خلق الشمس فى اليوم الرابع.

---

(١) جيمس فريزر ، الفلكلور فى العهد القديم (١ / ١٠٨) مرجع سابق .
(٢) زينون كاسيدوفسكى ، الواقع والأسطورة فى التوراة ، ص ٢٣ ، الأبجدية للنشر . دمشق ١٩٩٠م .
(٣) السابق ، ص ٢٤ .
(٤) موريس بوكاى ، القرآن الكريم والتوراة والإنجيل والعلم ، ص ١٧١ ـــ ١٧٢.
(٥) السابق ، ص ١٧٠ ـــ ١٧١ .
(٦) السابق ، ص ٤١ ـــ ٤٥ .

- خلق الشمس والقمر بعد خلق الأرض، وذلك يناقض المعلومات الأساسية عن تشكّل النظام الشمسى .

- الإشارة إلى عالم الحيوان والطيور فى اليوم الخامس مع أن وجود الطيور تال لوجود عالم الحيوان .

ب - الطوفان

تتفق رواية القرآن لقصة الطوفان مع رواية التوراة فى العناصر التالية : -

١- أسباب السيل (الأمطار الغزيرة وتفجر عيون الماء من الأرض) .

٢- صنع نوح لسفينة النجاة .

٣- حمل بعض البشر وبعض الحيوانات والطيور فى سفينة النجاة .

وتختلف الروايتان فى أمرين جوهريين : -

الأول : حجم الطوفان

يأتى الطوفان فى القرآن عقاباً خاصاً لقوم نوح شأن غيرهم من مكذّبى الرسل : **﴿ وَقَوْمَ نُوحٍ لَّمَّا كَذَّبُوا الرُّسُلَ أَغْرَقْنَاهُمْ وَجَعَلْنَاهُمْ لِلنَّاسِ آيَةً وَأَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾ (الفرقان/٣٧).**

أما فى التوراة فإن الطوفان عقاب عالمي لكل البشرية . يقول سفر التكوين:

((فقال الله لنوحٍ نهاية كل بشر قد أتت أمامي لأن الأرض امتلأت ظلماً منهم، فها أنا مهلكهم مع الأرض . اصنع لنفسك فلكا... فها أنا آتٍ بطوفان الماء على الأرض لأهلك كل جسد فيه روح حياة من تحت السماء. كل ما فى الأرض يموت))(١).

وهذا التدمير الشامل للأرض كما تحكيه التوراة غير مقبول من الناحية التاريخية، فبحسب تقويم العهد القديم يرجع تاريخ الطوفان إلى القرن الحادى أو الثانى والعشرين قبل الميلاد وهو يقابل تاريخ وجود الأسرة الحادية والعشرين من

---

(١) سفر التكوين (٦ / ١٣ ـ ١٧) .

أسر الفترة الوسطى فى مصر [1].

ومن الناحية العلمية فإن القول بوقوع تدمير شامل للكرة الأرضية يتعارض مع أبسط مبادىء الجيولوجيا [2].

لذلك يفسره جيمس فريزر بأنه مناسبة خلقها الكهنة لإقامة عهد بين الرب وبين فئة الناجين المنتقاة حسب الشروط الكهنوتية [3].

الثاني : موقع الطوفان

تحدد التوراة مكان استقرار سفينة نوح : ((فى الشهر السابع فى اليوم السابع عشر من الشهر على جبال أراراط)) [4].

وجبال أراراط تقع فى تركيا كما توضح ذلك خريطة الشرق الأوسط فى العهد القديم الملحقة بالبحث [5].

أما القرآن فيحدد استقرار السفينة على ((الجودى)) وهو اسم جبل يقع فى الموصل بالقرب من التقاء نهرى دجلة والفرات غير بعيد من مدينة ((أور)) عاصمة السومريين القديمة .

وذلك ما أكدته الاكتشافات الكبيرة لعالم الآثار الإنجليزى ليونار وولى الذى اكتشف مدينة أور وتحت مقابر ملوكها اكتشف طبقة من الطمي النهري سمكها ثلاثة أمتار وتحتها آثار عمرانية لجماعة بشرية عاشت فى زمن سحيق وأغرقها سيل مائي هائل، وبعد أن انحسرت مياهه جاءت بلاد الرافدين موجات بشرية أخرى سكنت المكان وهم السومريون [6].

جـ – قصة يوسف

قصة يوسف هى القصة القرآنية الوحيدة التى جاءت فى مكان واحد من

---

(١) موريس بوكاى ، ص ٥٣ – ٥٤ ، مرجع سابق .

(٢) جيمس فريزر ، الفلكور فى العهد القديم (١ / ٩٢) مرجع سابق .

(٣) السابق (١ / ١٠٨) .

(٤) سفر التكوين (٨ / ٤) .

(٥) ملحق رقم (١) .

(٦) زينون كاسيدوفسكى ، الواقع والأسطورة فى التوراة ، ص ٢٦ .

سورة تحمل اسم النبي يوسف بن يعقوب عليهما السلام ؛ لذلك يسهل وضعها بالتوازى فى مقابلة القصة التوراتية للوقوف على وجوه تباين التفاصيل بين القصتين . وذلك من خلال الجدول التالى [1] : ــ

ملاحظات	الرواية التوراتيـــة	الرواية القرآنيـــة	رقم الآية القرآنية
اختلاف	مدخل يضع القصة في الإطار العائلي	مدخل يضع القصة في الإطار الديني	١ ــ ٣
اختلاف	رؤييان ليوسف	رؤيا واحدة ليوسف	٤ ــ ٦
اختلاف	ذهاب يوسف بأمر يعقوب	ذهاب يوسف بموافقة يعقوب عقب تآمر الإخوة عليه	٧ ــ ١٥
اختلاف	سرعة تصديق يعقوب للمؤامرة ويأسه من عودة يوسف	ارتياب يعقوب في أولاده عقب المؤامرة وأمله في عودة يوسف	١٦ ــ ١٨
القرآن يؤكد أكثر تدخل إرادة الله	نفس الرواية	بيع يوسف ووصوله إلى مصر	١٩ ــ ٢٠
	لم يرد	همُّ يوسف وظهور برهان الله له	٢٤
	القميص تأخذه المرأة	القميص تقده المرأة	٢٥
اختلاف	غضب الزوج على يوسف	إدانة خلقية من الزوج لزوجته	٢٧ ــ ٢٩
	لم يرد	فضيحة في المدينة واجتماع النسوة	٣٠ ــ ٣١
النبي يتحدث أكثر في القرآن	لم يرد	دعاء يوسف أمام إلحاح المرأة	٣٤
	لم يرد	وعظ يوسف لأصحابه في السجن	٣٦ ــ ٤٠
اختلاف	تعبير الرؤيين يتقدم به يوسف	تعبير الرؤيين يطلب من يوسف	٤١

(١) مالك بن نبى ، الظاهرة القرآنية ، ص ٢٤٠ ــ ٢٤١ .

رقم الآية القرآنية	الرواية القرآنيـــة	الرواية التوراتيـــة	ملاحظات
٤٢ ــ ٤٨	حل نفسي لعقدة السجن باعتراف المرأة	حل سياسي مترتب على رؤيا فرعون	الروح تتكلم أكثر في القرآن
٤٩	تنبؤ بعام الرخاء والنجاة	لم يرد	
٥٣	وعظ في حضرة الملك	لم يرد	شخصية النبي أكثر ظهورا في القرآن
٥٤	رد اعتبار يوسف	مهمة معهود بها إلى يوسف	عدالة في للقرآن وسياسة في للتوراة
٥٥	يوسف يطلب مسؤولية الخازن	مسؤولية الخازن تعرض عليه	اختلاف
٥٧	اهتمام بالآخرة	لم يرد	الدين يتكلم أكثر في القرآن
٥٨ ــ ٦٢	مشهد يوسف مع إخوته	صورة بتصرف	يوسف أكثر نبوة في القرآن
٦٣ ــ ٦٧	بواعث العودة إلى مصر : مسعى أبناء يعقوب لدى يوسف	بواعث العودة إلى مصر: أمر يعقوب الذي يبدو كأنما ترك شمعون لمصيره	الاتهام بالجاسوسية اعتقال شمعون غير وارد في القرآن
٦٨ ــ ٦٩	وصول الإخوة إلى مصر وكيد يوسف	نفس الصورة	
٧٠ ــ ٧٩	رحيل إخوة يوسف واعتقال بنيامين	مع بعض التصرف	
٨٠	تشاور الإخوة	لم يرد	
٨١ ــ ٨٧	عودة الأبناء إلى يعقوب الذي يستعين بالأمل والمصابرة	لم يرد	
٨٨	عودة إلى مصر لدى يوسف	لم يرد	

رقم الآية القرآنية	الرواية القرآنيــــة	الرواية التوراتيــــة	ملاحظات
٨٩ ــ ٩٢	مشهد الحل بعفو يوسف عن إخوته	حل الموقف بانفعال يوسف	اختلاف
٩٣	إرسال قميص يوسف إلى أبيه	لم يرد	
٩٤ ــ ٩٥	وجدان يعقوب	لم يرد	
٩٦ ــ ٩٩	شفاء يعقوب ودعاؤه وعفوه عن بنيه	لم يرد	
١٠١	ختام يوسف للقصة بحمد الله والثناء عليه	لم يرد	المعالم الروحية في القرآن

ويكشف جدول التفاصيل السابق عما يلى من وجوه تباين واختلاف بين رواية القرآن ورواية العهد القديم [١] :

١- القرآن يضع القصة فى إطار ديني تنفذ منه أشعة روحية إلى النفس ببيان العبرة التربوية والأخلاقية التى من أجلها أنزل الله القصة .

أما العهد العتيق فقد وضع القصة فى إطار عائلي، يحمل طابع السرد التاريخي المجرد ، دون أن يشير إلى ما وراء الأحداث من عظات .

٢- يذكر القرآن الكريم أن إخوة يوسف تضايقوا من حب والدهم له ولأخيه، ولم تشر التوراة إلى الأخ بشيء .

٣- رؤيا يوسف التى قصَّها على أبيه كما فى النص القرآني تتلخص فى أنه رأى أحد عشر كوكباً والشمس والقمر له ساجدين والذى فى التوراة أن يوسف رأى قبلها رؤيا، فقد رأى أنه وإياهم يحزمون حزماً فى الحقل فى الصحراء، فإذا حزمته قامت وأحاطت بحزم إخوته فسجدت لحزمته حزمهم فقال له إخوته: ألعلك تملك علينا ملكاً ؟ أم تتسلط علينا تسلطاً ؟ وازدادوا بغضا له من أجل أحلامه ومن أجل كلامه.

وأما الرؤيا الثانية فهي كما فى القرآن من حيث المضمون ولكن يوسف قصها على أبيه وإخوته، ولم يعلق الإخوة ولكن الأب انتهره وقال له: ما هذا الحلم

---

(١) أحمد نوفل، سورة يوسف: دراسة تحليلية، ص٦٠ ــ ٦٦، دار الفرقان. عمّان ١٤٠٩هـــ ــ ١٩٨٩م.

الذى حلمت ؟ هل نأتي أنا وأمك وإخوتك لنسجد لك إلى الأرض ؟

٣- لم تذكر التوراة أن الإخوة تفاوضوا على قتل يوسف، أو أنهم راودوا أباهم لإخراجه معهم، ولكن الأب يرسل يوسف لينظر سلامتهم وسلامة الغنم ثم نردلأبيه الخبر فذهب إليهم، وعندما رأوه تفاوضوا فى شأنه .

٤- تآمر إخوة يوسف عليه إما قتلا أو طرحاً أو إلقاء فى الجب هكذا فى القرآن، والذى فى التوراة أن أحد الإخوة راؤبين استبعد فكرة القتل وأشار بالطرح فى البئر التي في البرية، لا لتلتقطه السيارة، ولكن ليغافلهم ويستخرجه من البئر ليعيده إلى أبيهم .

٥- في القرآن أن إخوة يوسف جاءوا على قميص أخيهم بدم كذب وجاءوا أباهم وقت العشاء يبكون أخاهم فأجابهم بما نعلم ، والذي في التوراة أنهم لم يجيئوا إلى أبيهم بل أرسلوا القميص الملون المغموس بالدم وأحضروه لأبيهم بواسطة الرسول الذي أرسلوه.

٦- فى القرآن أن يعقوب تجلد للمصاب الجلل وما زاد على أن قال كلمات نورانية سامقة: ﴿**فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ**﴾(**سورة يوسف/ ١٨**) ومثل هذا الموقف الرجولي الإيماني الرفيع هو اللائق بالنبي الكريم .

وأما التوراة فتقول: ((فمزق يعقوب ثيابه ووضع مسحاً على حقويه وناح على ابنه أياماً كثيرة)).

٧- فى التوراة استطراد عن زنى أحد الأسباط بكنته !! ولا علاقة قطعاً بين الخبر المحشور فى السياق وبين القصة .

٨- ليس فى التوراة من قول العزيز لامرأته أكرمي مثواه، بل تقفز مباشرة إلى قول المرأة ليوسف عندما دخل بيتها الخاص ورفعت عينيها إليه وقالت اضطجع معي . وليس فى التوراة ذكر تعرض المرأة له بالمراودة غير ما ذكر ولا تغليق الأبواب ولا قد الثوب ولا استباق الباب ، ولكن فيها أن المرأة أمسكت بثوب يوسف فتركه عندها وخرج .

٩- ليس فى التوراة قصة الشاهد على روعة مغزاها، وليس فيها خبر

النسوة على الرغم من دوره فى النسيج القصصي، ولكن الذى فى التوراة بعد أن حمى غضب العزيز أنه أخذ يوسف ووضعه فى بيت السجن.

١٠- فى التوراة أن رؤيا الملك حصلت بعد سنتين من خروج الساقي .

١١- وبالنسبة لمجىء إخوة يوسف إلى مصر فإن التوراة تذكر أن يوسف حبسهم وسلك معهم مسلك إعنات حتى يأتوه بأخيهم وقال لهم: جواسيس أنتم. لتروا عورة الأرض جئتم. بهذا تمتحنون وحياة فرعون لا تخرجون من هنا إلا بمجىء أخيكم الصغير.

١٢- ختام القصة ، حيث تقول التوراة بعد أن ذكرت موت يعقوب ودفنه: ((واستحلف يوسف بني إسرائيل قائلاً : الله سيفتقدكم فتصعدون عظامي من هنا، ثم مات يوسف ، وهو ابن مئة وعشر سنين وحنطوه ووضع فى تابوت فى مصر))، هكذا تنتهي القصة فى التوراة بخاتمة ميتة فنياً .

ولكن جاءت الخاتمة الفنية فى القرآن الكريم مناسبة ومعبّرة : ﴿ **وَقَالَ يَا أَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا وَقَدْ أَحْسَنَ بَي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاء بِكُم مِّنَ الْبَدْوِ مِن بَعْدِ أَن نَّزغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِّمَا يَشَاء إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ * رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِن تَأْوِيلِ الأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ أَنتَ وَلِيِّي فِي الدُّنُيَا وَالآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ** ﴾ **(سورة يوسف / ١٠٠-١٠١)**.

أما وجوه الاختلاف ذات الصلة بالناحية العلمية والتاريخية فأمران :

الأول : وسيلة سفر أبناء يعقوب.

يذكر القرآن فى ثلاثة مواضع من القصة أن العير هى وسيلة الترحال التى اتخذها أبناء يعقوب، والعير فى اللغة هى ما جلب عليه الطعام من قوافل الإبل والبغال والحمير [(١)] .

أما التوراة فتنصُّ على أن وسيلة السفر وحمل الطعام كانت الحمير ، وهو غير ملائم من وجهين :

---

(١) المعجم الوسيط ، مادة عير (٢ / ٦٦٣) مجمع اللغة العربية بالقاهرة ، ط٣ ، دون ترحال .

١- أن الحمار حيوان حضريّ غير مألوف فى البادية وحياة الصحراء كوسيلة انتقال ولذلك لم يعرفه بنو إسرائيل إلا في الحياة الحضرية الزراعية بمصر.

٢- من غير المعقول أن يستطيع الحمار قطع المسافة من كنعان فى بادية الشام إلى مصر مخترقاً فيافى وصحراوات شاسعة ، أوعرها شبه جزيرة سيناء، كل ذلك وهو محّمل بالحبوب والغلال يعانى جفاف الصحراء وقيظ الحر الشديد .

<u>الثاني</u> : حاكم مصر .

تذكر التوراة أنه الفرعون ، ويحكى القرآن أنه ((ملك)) وليس فرعوناً، وهذا ما أكّدته الدراسات التاريخية المعاصرة التى أجراها عالم المصريات الفرنسي ((بيير مونتيه)) استناداً إلى تحديد العاصمة التى كان يحكم منها يوسف وهى ((أفاريس)) الواقعة فى دلتا النيل قرب قرية سان الحجر المعاصرة ذات الكتابات الهكسوسية الغزيرة وهو ما يقطع بأن قصة حياته تعود إلى فترة حكم الهكسوس ؛ لأن فراعنة الأسرة الثامنة عشرة نقلوا العاصمة إلى طيبة بعد طرد الهكسوس (١).

كذلك تذكر الوثائق المصرية التى ترجع تاريخها إلى القرن السادس عشر قبل الميلاد القبائل الكنعانية الرعوية التى جاءت واستقرت فى مصر .

كما أن المؤرخ اليهودى يوسفس فيلافيوس يتحدث عن الهكسوس على أنهم أجداده (٢).

وتتطابق نتائج هذه الدراسات التاريخية مع بعض إشارات النص التوارتى، حيث يذكر سفر التكوين فى سياق القصة أن المصريين كانوا يعدُّون العبرانيين رجساً ، فيكون من غير الطبيعي والمنطقي أن يسمح حكام مصر من الفراعنة أن يتسلط على المصريين من يعدونه رجساً .
بل الشيء المنطقي الوحيد أن يكون الهكسوس المحتلون الأجانب عن مصر قد استعانوا بآسيوي أجنبي مثلهم فى حكم البلاد .

---

(١) زيتون كاسيوفسكى ، الحقيقة والأسطورة فى التوراة ، ص ٨٠ ، مرجع سابق .
(٢) السابق ، ص ٧٨ .

الفصل الثالث

دلائل الإعجاز القرآني

القرآن الكريم هو كتاب الله وكلامه ووحيه المنزل من السماء، وقد جعله الله دليل نبوة محمد (ﷺ) الأكبر وبرهانها الساطع وحجتها البالغة، وأخص آياتها، وأظهر علاماتها؛ وذلك لأسباب أربعة لم تجتمع لمعجزة أو دليل نبوة أخرى فى تاريخ الدين والإنسانية وهى:

أولا: فيه اجتماع الوحى المدَّعى والدليل المعجز على النبوة، يقول ابن خلدون فى مقدمته: "فاعلم أن أعظم المعجزات وأشرفها وأوضحها دلالة: القرآن الكريم، المنزّل على نبينا محمد (ﷺ)، فإن الخوارق فى الغالب تقع مغايرة للوحى الذى يتلقاه النبى، ويأتى بالمعجزة شاهدة بصدقه، والقرآن هو بنفسه الوحى المدَّعى، وهو الخارق المعجز، فشاهده فى عينه، ولا يفتقر إلى دليل مغاير له كسائر المعجزات من الوحى. فهو أوضح دلالة لاتحاد الدليل والمدلول فيه، وهذا معنى قوله (ﷺ): (ما من نبىٍّ من الأنبياء إلا وأُوتى من الآيات ما آمن على مثله البشر، وإنما كان الذى أوتيته وحياً أوحاه الله إلىّ، فأرجو أن أكون أكثرهم تابعاً يوم القيامة)[1]. يشير إلى أن المعجزة متى كانت بهذه المثابة فى الوضوح وقوة الدلالة، وهو كونها نفس الوحى كان الصدق لها أكثر لوضوحها "[2] .

ثانيا[3]: أن معجزات السابقين أبهرت وأعجزت فئات بعينها كالسحرة زمن موسى والقائمين على المداواة والعلاج أيام عيسى عليهما السلام، أما القرآن الكريم فقد أعجز أمة بأكملها من الفصحاء والبلغاء وأرباب النظم.

ثالثا[4]: أن المعجز فى كل قوم بحسب أفهامهم وعلى قدر عقولهم وأذهانهم لذلك كانت المعجزات فى بنى إسرائيل تخاطب حواسهم فقط لما عُرف عنهم من بلادة وغباوة إذ لم يؤثر عنهم ما يسجله التاريخ من آداب رفيعة أو فلسفات عميقة، أما القرآن فقد نزل فى قوم هم أَحَدُّ الناس أذهانا وأصحهم أفهاماً قد ابتكروا من الفصاحة أبلغها، ومن المعانى أغربها، ومن الآداب أحسنها ، فَخُصوا من معجزه

---

(١) البخارى [كتاب فضائل القرآن / باب كيفية نزول الوحى]
مسلم [كتاب الإيمان / باب وجوب الإيمان برسالة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم إلى جميع الناس] .
(٢) ابن خلدون / المقدمة / ص ٨٨ .
(٣) الماوردى / أعلام النبوة / ص ٤٤ .
(٤) السابق .

بما تجول فيه أفهامهم، وتصل إليه أذهانهم، فيدركوه بالفطنة دون البديهة ، وبالروية دون البادرة .

رابعاً [1] : أن معجز القرآن أبقى على الأعصار وأنشر فى الأقطار ، ومادام إعجازه كذلك فهو أحج ، وبالاختصاص أحق .

ويدل القرآن على ربانية مصدره ومن ثمَّ على صدق المنزل عليه ومبلِّغه محمد (ﷺ) بطريق الاضطرار من وجهين:

الوجه الأول : من حيث الجملة

وطريقته هي العلم بأن محمداً (ﷺ) الذى كان بمكة وهاجر إلى المدينة وادعى النبوة وظهر عليه القرآن، وأنه جعله دليلا على نبوته وتحدى به العرب الذين هم غاية الفصاحة والبلاغة وهذه الأمور معلومة بالاضطرار لا وجه فيها للاستدلال [2] .

ولما كان العرب وغيرهم قد عجزوا عن إجابة التحدى الذى دعاهم إليه النبى بمعارضة القرآن ، ذلك التحدى الذى أخذ صورة تنازلية وليست تصاعدية إمعانا فى السخرية وإظهار التعجيز :

إذ بدأ التحدي بالمطالبة بمعارضة القرآن كله: **﴿ أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُ بَل لاَّ يُؤْمِنُونَ * فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِ إِن كَانُوا صَادِقِينَ ﴾** [3]، ثم نزل بموضوع التحدي إلى عشر سور: **﴿ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُواْ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ وَادْعُواْ مَنِ اسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ اللّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾** [4].

---

(١) السابق

(٢) القاضى عبدالجبار / المغنى (١٦ / ١٥١) ، شرح الأصول / ص ٥٩٤ .

= الرازى / نهاية العقول فى دراية الأصول / ص ٢٨٨ ، تحقيق صلاح محمد عبدالرحمن ، رسالة ماجستير بدار العلوم .

= الآمدى / غاية المرام فى علم الكلام / ص ٣٤١ - ٣٤٤ .

= الشهرستانى / نهاية الاقدام / ص ٤٤٦ - ٤٤٩ .

(٣) الطور / ٣٢ - ٣٣ .

(٤) هود / ١٣ .

ثم هبط بالتحدي إلى سورة واحدة: ﴿وَمَا كَانَ هَذَا الْقُرْآنُ أَن يُفْتَرَى مِن دُونِ اللّهِ وَلَكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ الْكِتَابِ لاَ رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ الْعَالَمِينَ * أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُواْ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ وَادْعُواْ مَنِ اسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ اللّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ (١).

ثم قطع بفشلهم فى هذا التحدي ليس فى زمنهم فقط بل فيما يُستقبل من الزمان: ﴿فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ وَلَن تَفْعَلُواْ فَاتَّقُواْ النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾(٢). وذلك تأكيداً لإخباره السابق بعدم قدرتهم مجتمعين ومتحالفين مع غيرهم من البشر أو مستعينين بالجن على معارضته: ﴿قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَن يَأْتُواْ بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لاَ يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾(٣) .

ولمّا كان ذلك التحدى والعجز عن المعارضة ظاهراً معلوماً بالاضطرار فإنه يقطع بربانية مصدر القرآن ، ذلك القطع الذى يشرح القاضى عبد الجبار حيثياته قائلاً: "الذى يدل على ذلك أنه (ﷺ) تحدى بالقرآن، وجعله دلالة نبوته، وموجباً لاتباعه وطاعته والانقياد له فيما يقتضى تحمل الكلفة والمشقة، ومفارقة العادة والطريقة، والانصراف عن سنن الراحة واللذة، وهم النهاية فى الفصاحة والبلاغة التى جرت عليها العادة، ولهم طريقة معروفة فى الأبية والأنفة، وبذل الجهد فى حراسة الرياسة، وترك الرضا بالانقياد والمتابعة، وحالهم فى العقل ووفوره والبصيرة فيما يتصل بالكلام والخطابة وامتناع الشبهة عليهم معروف، وقد ظهر من أمرهم أن دواعيهم إلى إبطال أمره (ﷺ) قد بلغت الغاية ؛ لما ظهر من قول وفعل ، ودل عليه من مجرى وظاهر حال، وقد علمنا أنهم مع هذا الحال قعدوا عن المعارضة، وتركوا أن يأتوا بمثله، مع سهولته وبلوغهم به الوطر والمراد لو فعلوه، وعدلوا إلى الأمور الشاقة التي تتضمن الخطر على النفس والمال، ولا توصل إلى البغية لو نالوا منها نهاية المراد، بل ظهر عنهم ما يقتضي الاعتراف بالقصور والعجز، فدل ذلك أجمع على أنه من قبل الله تعالى، وخص رسوله به؛

---

(١) يونس / ٣٧ – ٣٨ .

(٢) البقرة / ٢٤ .

(٣) الإسراء / ٨٨ .

ليدل على نبوته؛ لما فيه من نَقْض العادة التي توجب كونه معجزاً "[1] .

الوجه الثاني: من حيث التفصيل.

وطريقته النظر والمعرفة والتحصيل الذي لا يقدر عليه إلا من يمكنه مدارسة القرآن وفهمه ، تلك المدارسة التي تكشف عن نواحٍ متعددة من نواحي الإعجاز القرآني، تغطي جميع مجالات عمل وسائل المعرفة الإنسانية ، ويمكن تلخيص هذه النواحي وعرضها في المباحث التالية[2]:-

---

(١) القاضى عبد الجبار / المغنى (١٦ / ٢٤٦) .

(٢) اعتمدت فى تلخيص وتقسيم هذه الوجوه على :-

- القاضى عبد الجبار / المغنى (١٦ / ١٦٧ - ٣٣٦) .
- الباقلانى / إعجاز القرآن .
- ابن النقيب / مقدمة التفسير فى علم البيان والمعانى والبديع وإعجاز القرآن.
- الماوردى / أعلام النبوة / ص ٤٤ - ٥٩ .
- الآلوسى / الجواب الفسيح (٢ / ٨٦ - ٢٥٨) .
- سيد قطب / التصوير الفنى فى الفرآن .
- د. محمد عبد الله دراز / النبأ العظيم / ص ٧٧ - ٢١١ .
- د. سعد الدين صالح / المعجزة والإعجاز فى القرآن الكريم / ٥٩ - ٢٢٠ .
- بخلاف مايشار إليه فى موضعه .

الإعجاز البياني

وجوه إعجاز القرآن من هذه الناحية تشمل :

أ – اللفظ ، وبلاغة اللفظ القرآنى من وجهين : أحدها جزالته حتى لا يلين ، والثانى انطباعه حتى لا يخبو .

ب – المعنى ، وبلاغة القرآن من جهة المعنى بادية من وجوه ثلاثة :

أحدها أن معانيه لائحة فى مبادئ ألفاظه غير مفتقرة إلى مقاطعه .

والثانى أن معانيه مطابقة لألفاظه ، لم تزد عليها فيكون الاختلال فى اللفظ، ولم تقصر عنها فيكون الاختلال فى المعنى، ويتجلى ذلك فى الفارق بين قول العرب القتل أنفى للقتل، وبين قوله تعالى: ﴿ وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاة ﴾ (١).

والثالث استيفاء معانيه فى قليل من الكلام وإيجازه عن الإكثار، كقوله تعالى: ﴿ وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءكِ وَيَا سَمَاء أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاء وَقُضِيَ الأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْداً لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾ (٢) .

جـ – النظم ، ويتبدى حسن النظم القرآنى فى ملامح ثلاثة؛ أحدها أن الكلام القرآنى متناسب لا يتنافر.

والثانى أن وزنه معتدل لا يتباين .

والثالث أنه لو نزعت منه لفظة ثم أدير لسان العرب لفظة أحسن منها لم توجد، فهو كما وصفه الله تعالى: ﴿كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾، لذلك كانت شهادة الوليد بن المغيرة فى القرآن قوله: فو الله ما فيكم رجل أعلم منى بالشعر لا برجزه ولا بقصيده ولا بأشعار الجن . والله ما يشبه الذى يقوله شيئاً من هذا، ووالله إن لقوله لحلاوة وإن عليه لطلاوة، وإنه لمنير أعلاه، مشرق أسفله، وإنه ليعلو ولا يعلى، وإنه ليحطم ما تحته.

---

(١) البقرة / ١٧٩ .

(٢) هود / ٤٤ .

د – التصوير الفنى، وهو وجه جديد من وجوه الإعجاز البيانى فى القرآن، كشف عنه الأستاذ سيد قطب حيث وقف على الأصول العامة للجمال الفنى فى القرآن والتى تجسدت فى التصوير الذى يراه الأداة المفضلة فى أسلوب القرآن، والقاعدة الأولى للبيان فيه، إذ يعبر بالصورة المحسة المتخيلة عن المعنى الذهنى، والحالة النفسية أو عن الحادث المحسوس، والمشهد المنظور، وعن النموذج الإنسانى والطبيعة البشرية، ثم يرتقى بالصورة التى يرسمها فيمنحها الحياة الشاخصة أو الحركة المتجددة، فإذا المعنى الذهنى هيئة أو حركة، وإذا الحالة النفسية لوحة أو مشهد، وإذا النموذج الإنسانى شاخص حىّ، وإذا الطبيعة البشرية مجسمة مرئية، فأما الحوادث والمشاهد والقصص والمناظر فيردها شاخصة حاضرة فيها الحياة وفيها الحركة، وينسى المستمع أن هذا كلام يتلى ومثل يضرب ويتخيل أنه منظر يعرض وحادث يقع.

ووجه الإعجاز فى جانب التصوير الفنى فى القرآن أن أداته هى الكلمة الجامدة لا الأشخاص المعبرة أو الألوان المصورة أو العزف المساعد على آلات الموسيقى.

الإعجاز الإخباري

يتجلى الإعجاز الإخبارى فى القرآن فى المجالات التالية :-

أ - قصص وأخبار السابقين ، إذ حكى القرآن بتفصيل ودقة بالغة عن أخبار الأمم الغابرة وأحوالها ومواقفها من أنبيائها ، وسيرة هؤلاء الأنبياء ودعوتهم ، مما لم يرد مثله فى الكتاب المقدس كقصة هود وصالح وشعيب ، ومما ورد أصله فى الكتاب المقدس لكن احتفظ القرآن بدقة وتفصيل ما يخبر عنه وبقى نصه بعيداً عن مرمى أى نقد تثيره المعارف الحديثة على حين أن نصوص الكتاب المقدس غير مقبولة بالمرة من وجهة النظر هذه [1] .

ب - الغيبيات، وهى الإخبار عن خلق العالم، وخلق آدم، وعن الملائكة والجن والشياطين، وعن المعاد والحساب، والثواب والعقاب، والجنة والنار والنعيم والعذاب، مما ليس له نظير فى أى كتاب دينى آخر.

جـ - التنبؤات ، وهى الإخبار بالأمور الغيبية المستقبلية، والتى وقعت كما أخبر بها القرآن تماماً، وذلك مثل قوله تعالى: ﴿ الم * غُلِبَتِ الرُّومُ * فِي أَدْنَى الأَرْضِ وَهُم مِّن بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ * فِي بِضْعِ سِنِينَ لِلَّهِ الأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِن بَعْدُ ﴾ [2] . إذ غلبت الروم فارس بعد سبع سنين.

وقوله تعالى: { قل يا أيها الذين هادوا إن زعمتم أنكم أولياء لله من دون الناس فتمنوا الموت إن كنتم صادقين ولا يتمنونه أبداً بما قدمت أيديهم والله عليم بالظالمين}[3]، فمع حرص اليهود على تكذيبه (ﷺ) لم تنبعث دواعيهم لإظهار تمنى الموت. ومثل قوله تعالى فى الوليد بن المغيرة: ﴿ قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَن يَأْتُواْ بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لاَ يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾[4]: وفى أبى لهب: ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ * مَا أَغْنَى عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ * سَيَصْلَى نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ﴾ [5]، فقد مات الوليد بن المغيرة وأبو لهب كافرين.

---

(١) راجع كتابنا : منهج أهل السنة والجماعة / ص ٣٢٨ .

(٢) الروم / ١ - ٣

(٣) البقرة / ٩٤ × .

(٤) المدثر / ٢٦ - ٢٨.

(٥) المسد / ١ - ٣

الإعجاز التشريعي

جاء القرآن بشريعة يسيرة سهلة تساير الفطرة البشرية بحيث تكون ميزاناً عاماً للحياة الإنسانية صالحاً لكل زمان ومكان ، مما يجعله دليلاً على ختم النبوة أيضاً فلا تقتصر دلالته على النبوة فقط .

ويقوم الإعجاز التشريعي فى القرآن على الوسطية والاعتدال، إذ كان ذكر العدل فىشريعة التوراة أكثر، وكانت الدعوة إلى الفضل فى تعاليم الإنجيل أظهر؛ لذلك يقول النصارى إن موسى قد جاء بالعدل، وعيسى قد جاء بالفضل أما شريعة القرآن فوسط بين الشريعتين، إذ توجب العدل وتندب إلى الفضل ، كما يتبين فى قوله تعالى: ﴿ وَجَزَاء سَيِّئَة سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا﴾ [1]، فهذا عدل، وقوله تعالى: ﴿ فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّه ﴾[2]، لذلك يقال: جاء موسى بالجلال وعيسى بالجمال، وبعث محمد بالكمال ، أى بكمال الشريعة الإسلامية التى تجمع بين اليسر واللين والعفو والصفح ومكارم الأخلاق ، وبين الشدة والجهاد وإقامة الحدود.

وإلى جانب الوسطية تبرز وجوه أخرى للإعجاز التشريعى فى الإسلام منها[3]:-

أ) المرونة:

فقد اعتمد التشريع القرآنى على إرساء القواعد التشريعية العامة واجبة الاتباع والتى يمكن تطبيقها فى كل مرحلة زمنية ومحلة مكانية، وذلك كقاعدة إيجاب الشورى فى الحكم: ﴿ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ ﴾[4]، والتى أوجب القرآن تحقيقها، لكنه لم يلزم بصورة معينة لتطبيقها. وكذلك قاعدة: الضرورات تبيح المحظورات، وجلب المصالح ودرء المفاسد، وتقديم درء المفاسد على جلب المصالح، وإيجاب الحكم بين الناس بالعدل ... الخ

---

(١) الشورى / ٤٠ .

(٢) الشورى / ٤٠ .

(٣) الغامدى / عقيدة ختم النبوة بالنبوة المحمدية / ص ٨٨ - ٩٥ .

- عبد المتعال الصعيدى / لماذا أنا مسلم / ص ٣٢ - ٥٤ .

- د. جمال الدين عطية / النظرية العامة للشريعة الإسلامية / ص ٤٦ - ٦٠ ، ١٣١ - ١٣٦

(٤) الشورى / ٣٨ .

ب) الشمول :

وذلك تصديقا لقوله تعالى: ﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ ﴾ (١)، حيث شمل التشريع الإسلامى كل شؤون الحياة فلم يترك جانبا من جوانبها إلاوضع له تشريعاً يحفظ له صلاحه واستقامته بدءًا بالأخلاق والآداب وعلاقة الإنسان بربه، مروراً بعمله وعلمه وتحصيله وكسبه قوت يومه، وانتهاء بالنظم السياسية والحربية والاقتصادية فغطى بذلك دوائر العلاقات الثلاثة: علاقة الإنسان بربه وبمجتمعه وبنفسه، فإذا ما قورنت الشريعة الإسلامية فى ذلك بغيرها من الشرائع والنظم الوضعية لامتازت باشتمالها على تنظيم الجانب التعبدى والأخلاقى، وإذا ما قورنت بالأديان الأخرى تميزت باشتمالها على التنظيمات الاجتماعية بالمعنى الشامل الدقيق لمصطلحات السياسة والاقتصاد والاجتماع ولا يتسع المقام لطرح الآيات القرآنية التى تعالج جوانب الحياة الإنسانية بشمولها لكن تكفى الإشارة إلى بعض الآيات الجامعة التى تنطوى على تشريعات مختلفة مُستَضمَنة فى نص واحد صغير وكلمات معدودة، وذلك كقوله تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾(٢)، والتى تجمع فى طياتها تشريعات فى السياسة، والأخلاق، والاجتماع، والاقتصاد.

جـ) اليسر :

لما كانت جميع الشرائع والتكليفات القرآنية إنما جاءت لمصلحة الإنسان فقد راعت الفروق البشرية المختلفة والمستويات العقلية المتباينة وحالات الضعف والعجز التى قد يتعرض لها البشر ، فأصبح طابع اليسر والتيسير أهم خصائصها وأبرز جوانب إعجازها ، التى مكنت الناس عامة من الانضواء تحت لوائها والحياة فى ظلالها .

وتشمل جوانب اليسر فى الشرائع القرآنية جانبى التكليف والأداء: فعلى مستوى تلقى التكليف امتاز خطاب التكليف الشرعى بالبساطة واليسر بحيث يسع

(١) النحل / ٨٩ .

(٢) النحل / ٩٠ .

الأميَّ تعقلها ليسعه الدخول تحت حكمها.

وعلى مستوى الأداء والتطبيق جاءت العبادات مثلا مثالاً لليسر والسهولة فالصلاة: لا تزيد فى اليوم والليلة عن سبع عشرة ركعة، يمكن أداؤها فى أى مكان يوجد فيه الإنسان فى الحضر أو السفر، والزكاة : مقدار يسير من الثروة المدخرة الزائدة عن حاجة الإنسان، والصوم: شهر من كل عام، يشمل النهار فقط أى فعليا نصف شهر كل عام، والحج: مرة واحدة فى العمر لمن استطاع إليه سبيلا .

ولم تقتصر جوانب اليسر فى الشرائع الإسلامية على كيفية وهيئة أدائها بل هناك جانب هام آخر يتمثل فى الرخص الشرعية التى تُمنح لأصحاب حالات الضعف والعجز البشرى الدائمة والطارئة، والتى قد تصل إلى حد الإعفاء الكلى من هذه الشرائع والتكليفات سوى الصلاة، وذلك فى حالة المريض الفقير العاجز مثلا، الذى لا يقوى على الحج أو إخراج الزكاة أو الصيام، فلا يلزمه سوى الصلاة وهذه يرخّص له أيضاً بأدائها بكيفية تحددها طبيعة مرضه أو عجزه، إن جالساً أو نائماً أو بإيماء الرأس أو إطراق الطرف.

الإعجاز العقلي

يتجلى وجه الإعجاز العقلى فى القرآن فى خطابه العقل على نحو يستصرخ الفهم والفكر ويشركهما مع العواطف والإحساس فى إرشاد الإنسان إلى سعادته الدنيوية والأخروية، فبين للناس ما اختلفوا فيه وكشف لهم عن أوجه ما اختصموا عليه، وأقام البراهين والحجج على صحة العقائد، وطالب بنى الإنسان بنبذ كل مالا يتفق وصحة المعقولات ، وقبول ما وافق العقل السديد والنظر الصحيح ، لذلك يُعَدُّ التفكير فريضة يوجبها الإسلام ، كما أن التفكير يوجب الإسلام [1] .

لهذا يرى بعض المفكرين كالإمام محمد عبده أن القرآن قد نزل لما بلغت سن المجتمع البشرى النضج وثاب إلى الرشد [2] .

ولما كان خطاب القرآن العقل يهدف إلى تأسيس اليقين فى المعرفة على منهج صحيح، وذلك كمقدمة ضرورية لبناء اليقين فى الاعتقاد ، فإن هناك بعض الأصول العامة التى نبه القرآن إليها لبناء اليقين وهى [3] :

١ – ألا يقبل المرء فى عقله أموراً لم يتحقق له صدقها ، ولم يقم لديه الدليل على صحتها ؛ حتى لا يؤسس اعتقاده على وهم أو خيال.

٢ – ألا يؤسس حكمه على الظن أو يبنى اعتقاده عليه ، لأن الظن لا يغنى عن الحق شيئا.

٣ – لا يجوز أن يؤسس الحكم على الأشياء تبعاً للهوى الشخصى

٤ – ألا يدعى علم مالا يعلم: ﴿ وَلاَ تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾[4]

٥ – ألا يستمر على رأيه إذا ظهر أنه خلاف الحق .

وقد وجدت هذه الأصول تطبيقاتها فى بناء النص القرآنى الذى تفرد بصورة

---

(١) محمود عباس العقاد / التفكير فريضة إسلامية / ص ٨٥ ، ١٥٦ .

(٢) محمد عبده / رسالة التوحيد / ص ١٧٠ .

(٣) د. محمد السيد الجليند / تأملات حول منهج القرآن فى تأسيس اليقين / ص ٢٤ – ٢٦ .

(٤) الاسراء / ٣٦

معجزة عن غيره من النصوص والكتب المقدسة وغير المقدسة، باشتماله على ثلاثة عناصر شكلت جوهر خطابه العقل، وهى :-

أولا : خلوه من التناقض والاختلاف.

وقد كان ذلك أحد العناصر التى لفت القرآن الأنظار إليها، وطالب البشر بإمعان النظر فيها وجعلها أحد البراهين على إلهية مصدره، وذلك فى قوله تعالى: ﴿ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ اخْتِلاَفًا كَثِيرًا﴾ [1]، وسمو القرآن عن التناقض والاختلاف يشمل كما يرى القاضى عبدالجبار السمو عن الاختلاف فى اللفظ أو المعنى أو الدلالة ، كما أن كل من يدعى فى القرآن شيئاً من التناقض أو الاختلاف إنما يؤتى من جهة قلة التأمل والمعرفة [2] ، وزوال الاختلاف والتناقض عن القرآن - كما يرى أبو هاشم الجبائى - لا يكون إلا من فعل الله لأن العادة لم تَجْرِ بذلك فى كلام البشر [3] .

ثانيًا : البراهين العقلية

وهى طرق متعددة استخدمها القرآن فى الاستدلال وضروب النظر العقلى والبرهنة اليقينية.

ومن هذه الطرق البرهانية التى استخدمها القرآن [4] :-

أ - الميزان القرآنى :

وهو تلك المقاييس العقلية والأمثال المضروبة فى القرآن لبيان الحقائق وطرق معرفة التماثل والاختلاف ، وذلك مثل قوله تعالى: ﴿ أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ * مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴾ [5].

---

(١) النساء / ٨٢ .
(٢) القاضى عبدالجبار / المغنى (١٦ / ٣٩٤) .
(٣) السابق (١٦ / ٣٢٨) .
(٤) راجع فى ذلك : الدكتور محمد السيد الجليند / منهج القرآن فى تأسيس اليقين / ص ٧٩ - ٨٢ وأستاذنا الدكتور مصطفى حلمى / مناهج البحث فى العلوم الإسلامية / ص ٥٠ - ٥٦ .
وانظر كتابنا : منهج أهل السنة والجماعة / ص ١٧٦ .
(٥) القلم / ٣٥ - ٣٩ .

ب – قياس الأولى :

وهو إثبات الحكم للشئ بناء على ثبوته لنظيره أو لما الشئ أولى بالحكم به ، كما فى استدلال القرآن على إمكان المعاد بقوله تعالى : ﴿ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ * قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴾ (١)، وقد أخذ القرآن بقياس الأولى فى قضية الصفات الإلهية، فأثبت للخالق من باب الأولى كل كمال ثبت للمخلوق، ونزه الخالق عن كل نقص ثبت للمخلوق، إذ لما نسب المشركون له البنات، نزهه القرآن عن ذلك من باب الأولى إذ كانوا يكرهون الإناث فكان أحدهم إذا بُشِّر بالأنثى ظل وجهه مسوداً وهو كظيم، فقال تعالى: أَفَرَأَيْتُمُ اللاتَ وَالْعُزَّى * وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الأُخْرَى * أَلَكُمُ الذَّكَرُ وَلَهُ الأُنثَى * تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَى﴾ (٢) .

وفى إثبات التوحيد يجعل القرآن من قياس الأولى طريقه ، وذلك فى قوله تعالى: ﴿ ضَرَبَ لَكُم مَّثَلا مِنْ أَنفُسِكُمْ هَل لَّكُم مِّن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُم مِّن شُرَكَاء فِي مَا رَزَقْنَاكُمْ فَأَنتُمْ فِيهِ سَوَاء تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنفُسَكُمْ ﴾ (٣) .

إذ لا يرضى الرجل أن يكون مملوكه شريكا له فى ماله، فكيف يرضى الإنسان أن يكون العبد المخلوق شريكا لله فى الألوهية وحق العبادة .

جـ – اللزوم :

ويعبر عن الحقيقة المعتبرة فى كل دليل، فمن عرف أن هذا لازم لهذا استدل بالملزوم على اللازم بغير ذكر لفظ اللزوم، ويتضح هذا فى قوله تعالى: ﴿ أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ ﴾ (٤)، إذ لا يمكن لصحيح الفطرة أن يدَّعى وجود حادث بدون محدث ، ولا يمكنه تصور أن الحادث قد أحدث نفسه.

ثالثا: ما اشتمل عليه من أصول المعارف والنظريات والمباحث.

---

(١) يــس / ٧٨ – ٧٩ .
(٢) النجم / ١٩– ٢٢ .
(٣) الروم / ٢٨ .
(٤) الطور / ٣٥ .

وقد عدَّ بعض المنظرين هذا الأصل وجهاً مستقلاً من وجوه إعجاز القرآن، فيقول الماوردى: "والوجه الخامس من إعجازه ما جمعه القرآن من علوم لا يحيط بها بشر، ولا تجتمع فى مخلوق، فلم يكن إلا من عند الله المحيط بكل شىء علماً"[1]، لكن إدراج هذا الوجه هنا تحت جانب الإعجاز العقلى راجع لكون هذه المعارف المتضمنة فى النص القرآنى تتوقف الاستفادة منها والإلمام بها على جهد العقل وعمله فى استنباطها ، فيقوم العقل باستخلاص الأصول والبناء عليها: "حتى أن أهل كل علم يلتجئون إليه فى أصول علومهم ويبنون عليه كتبهم، فإن المتكلمين إنما بنوا الكلام فى التوحيد على ما ذكره تعالى فى كتابه نحو قوله: ﴿ إن فى خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولى الألباب ﴾ ... واعتمدوا فى التوحيد والبعث والنشور والإعادة وفى حدوث الأجسام وإثبات الأعراض وفى وجوب النظر والتفكير على ما ذكره الله تعالى فى كتابه مما يطول ذكره ، وهذه طريقة الفقهاء لأنهم بنوا الكتب على ما ذكره الله تعالى فى كتابه ، ثم أهل اللغة والنحو ، عليه اعتمدوا فيما بسطوه من الكتب وشرحوه وأصلوه ، وأهل الفرائض بنوا الفرائض على الآيات المنزلة فيها " [2] .

ولم تقتصر المعارف التى حواها القرآن على معارف الملة الإسلامية، بل قد احتوى على معارف أخرى من علوم الأوائل مثل الطب والهيئة والهندسة والجبر والمقابلة والنجامة والزراعة، وغيرها[3] حتى قيل شعراً :

جميع العلم فى القرآن لكن ... تقاصر عنه أفهام الرجال

فيذهب الغزالى إلى أن سائر العلوم تتفرع عن القرآن، فبعد أن يذكر علوم الطب والنجوم والهيئة والتشريح وعلوم وظائف الأعضاء، وعلم السحر والطلسمات: يشير إلى علوم الأولين التى لا يُعرف عنها سوى تراجمها، وإلى علوم لم تكتشف بعد ويرفع عنها النقاب وإلى علوم أخر ليس فى قوة إدراك البشر الوقوف عليها ، ويقول [4] : " ثم هذه العلوم ما عددناها وما لم نعدها ليست أوائلها

---

(١) الماوردى / أعلام النبوة / ص ٤٨ .
(٢) القاضى عبدالجبار / المغنى (١٦ / ٣٢٩ - ٣٣٠) .
(٣) الألوسى / الجواب الفسيح (٢ / ٢٥٧) .
(٤) الغزالى / جواهر القرآن / ص ٢٨ - ٣٠ .

خارجة عن القرآن ، فإن جميعها مغترفة من بحر واحد من بحار معرفة الله تعالى وهو بحر الأفعال ، وقد ذكرنا أنه بحر لا ساحل له، وأن البحر لو كان مداداً لكلماته لنفد البحر قبل أن تنفد ، فمن أفعال الله تعالى الشفاء والمرض كما قال الله تعالى حكاية عن إبراهيم: ﴿ وإذا مرضت فهو يشفين ﴾ وهذا الفعل الواحد لا يعرفه إلا من عرف الطب بكماله وعلاماته ومعرفة الشفاء وأسبابه. ومن أفعاله تقدير معرفة الشمس والقمر ومنازلهما بحسبان وقد قال الله تعالى: ﴿الشمس والقمر بحسبان ﴾ وقال: ﴿ وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب ﴾ وقال: {وخسف القمر وجمع الشمس والقمر﴾ وقال: ﴿ يولج الليل فى النهار ويولج النهار فى الليل﴾ وقال: ﴿والشمس تجرى لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم﴾، ولا يعرف حقيقة سير الشمس والقمر بحسبان وخسوفهما وولوج الليل فى النهار وكيفية تكوّر أحدهما على الآخر إلا من عرف هيئات تركيب السموات والأرض وهو علم برأسه، ولا يعرف كمال معنى قوله: ﴿ يا أيها الإنسان ماغرك بربك الكريم الذى خلقك فسوّاك فعدلك فى أى صورة ما شاء ركبك﴾ إلا من عرف تشريح الأعضاء من الإنسان ظاهراً وباطنا وعددها وأنواعها وحكمتها.

وقد أشار فى القرآن إليها فى مواضع، وهى من علوم الأولين والآخرين وفى القرآن مجامع علم الأولين والآخرين".

ويختم مقدمته موصياً: "فتفكر فى القرآن والتمس غرائبه لتصادف فيه مجامع علم الأولين والآخرين وجملة أوائله. وإنما التفكر فيه للتوصل من جملته إلى تفصيله" [1].

وإلى نفس الرأى يذهب السيوطى أيضا، فيقول ما نصه: "قد اشتمل كتاب الله العزيز على كل شىء: أما أنواع العلوم فليس منها باب ولا مسألة هى أصل إلا وفى القرآن ما يدل عليها، وفيه عجائب المخلوقات وملكوت السموات والأرض، وما فى الأفق الأعلى وما تحت الثرى" [2].

وقد عارض الشاطبى هذا الرأى استناداً إلى مذهبه فى القول بأمية الشريعة وأنها ملائمة لحال أهلها من العرب الأميين، فبنى على ذلك قاعدة هى "أن كثيراً

---

(١) الغزالى / جواهر القرآن / ص ٣٠ .

(٢) السيوطى / الإتقان فى علوم القرآن (٤ / ٣٣) .

من الناس تجاوزوا فى الدعوى على القرآن الحد، فأضافوا إليه كل علم يذكر للمتقدمين والمتأخرين من علوم الطبيعيات والتعاليم كالهندسة وغيرها من الرياضيات والمنطق وعلم الحروف وجميع ما نظر فيه الناظرون من هذه الفنون وأشباهها ، وهذا إذا عرضناه على ما تقدم لم يصح " [١] .

ثم يحمل آيات الكتاب الكريم التى تخبر بتضمنه أصول ومبادئ العلوم تصريحا أو تلميحا أو رمزاً أو دلالة عليها، مثل قوله تعالى: { ما فرطنا فى الكتاب من شئ }[٢]، وقوله: {ونزلنا عليك الكتاب تباينا لكل شئ } [٣]، على ما يتعلق بحال التكليف والتعبد ، وأن المقصود بالكتاب هو اللوح المحفوظ [٤] .

لكن تقييد الشاطبى لعلوم القرآن وقصرها على ماعرفه العرب أو ما تعلق بعلوم الشرع ومقتضيات التعبد أمر لا يستند إلى دليل قوى من النقل أو العقل أو الواقع ، وذلك إذا ما أخذت الأمور التالية فى الحسبان :

١ – إن دعوة القرآن ليست خاصة بالعرب حتى يناسب عقولهم ومعارفهم وحدهم ، بل دعوته وخطابه يعمان جميع البشر ، لذلك جاء خطابه على وجه معجز يستطيع الأمىّ فهم تكليفاته وتشريعاته كما أن غير الأمىّ يجد فيه ما يناسب معرفته وعقله وما يلزمه الحجة والإيمان به . فلو كان خطاب القرآن قاصراً على ملائمة الأمىّ لما خرّت له عقول أساطين العلماء من أبناء عصرنا الحديث الذين راعهم دقته واتفاقه مع علوم العصر كما سيأتى تفصيل ذلك عند الحديث عن وجه الإعجاز العلمى للقرآن.

٢ – إن أغراض القرآن الثلاثة (التوحيد ، والقصص ، والإخبار) تتجاوز حدود الأوامر التكليفية والتعبدية إلى مايتعلق بالإنسان والعالم والحياة ، فلو انصرف قوله تعالى: ﴿ مَّا فَرَّطْنَا فِي الكِتَابِ مِن شَيْءٍ ﴾، وقوله ﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ ﴾ إلى الأمور التعبدية لاقتضى ذلك تفريط القرآن فى أمور لا تقوم حياة

---

(١) الشاطبى / / الموافقات (٢ / ٥٢) .
(٢) الأنعام / ٣٨ .
(٣) النحل / ٨٩ .
(٤) الشاطبى / الموافقات (٢ / ٥٣) .

الإنسان المعيشية ومسؤوليته التكليفية وصلاح حاله إلا بها. وهذا لا يعقل .

٣ – إن واقع المسلمين يكشف عن ريادتهم البشرية وتفوقهم الحضارى فى مجالات العلوم والثقافة والاجتماع والعمران، عندما جعلوا القرآن دستوراً عملياً لحياتهم منه ينطلقون فى عملهم وعلمهم .

٤ – إن آيات التكليف والتشريع فى القرآن عددها مائة وخمسون آية، أما الآيات المتعلقة بالعلوم وحقائقها فبلغت سبعمائة وخمسين آية، فهل جاء القرآن تبيانا لمائة وخمسين آية وفرط فى حق سبعمائة وخمسين !؟

٥ – إن القرآن خاتم الكتب السماوية، ويقتضى ذلك تضمنه أدوات الفصل والحكم فيما يطرأ على حركة الكون والحياة الإنسانية من تغير أو مستجدات ، ولا شك أن أحد أهم هذه المستجدات هو التطور المعرفى والتقدم العلمى ، ويعنى ذلك أن تحقيق المرجعية للقرآن مرهون باشتماله على أصول ومبادئ مايعنُّ للإنسان من تساؤلات معرفية وما يقف عليه من علوم.

ولا تقتصر وجوه الإعجاز القرآنى على ماذكر من إعجاز بيانى وإخباري وعقلي وتشريعي، بل هناك ما يسمى بالإعجاز القلبى وهو الأثر الداخلى الذى يتركه القرآن عند تلاوته أو الاستماع إليه، لكن هذا الوجه يخرج عن حيز المناقشة لكونه أمراً ذاتيا، كما أنه يختلف باختلاف البشر وأحوالهم فلا ينضبط كما أنه لا يمكن إلزام المخالف به.

الإعجاز العلمي

ولأن طبيعة العصر الحاضر تختلف اختلافا بعيداً عن طبيعة الأعصر السابقة، فإن الحاجة ماسة إلى وجه جديد من وجوه الإعجاز القرآنى يناسب طبيعة العصر ويلزم أهله الحجة كما لزمت السابقين الحجة بوجوه الإعجاز التى أمكن الوقوف عليها، وإن كان عجز السابقين عن الإتيان بمثله يغنى المعاصرين ويكفيهم.

لكن لأن حجة القرآن باقية وتحديه على مدار الدهور وتعاقب الأزمان، فإن الإعجاز - كما يقول الطبرى فى مقدمة تفسيره - واقع فى كل عصر والتحدى به لازم لأهل كل زمان[1] .

والإعجاز العلمى فى القرآن هو مما يناسب طبيعة العصر الحاضر الذى استغرقته ثورة الاكتشافات وباتت حركته رهينة الوسائل العلمية بمجالاتها المتعددة، حتى بات العلم أحد أهم مقومات البقاء وأمضى أسلحة الصراع فى عالمنا لمعاصر.

ونواحى الإعجاز العلمى فى القرآن تتعدد لتشمل معظم أو جميع مجالات العلم كالفلك والطب والجيولوجيا والزراعة وعالم النبات والحيوان والتناسل والاقتصاد والتجارة والتاريخ والحضارة والبحار ... الخ.

حتى أنه قد بات من المؤكد أن: "القرآن لا يحتوى على أية مقولة قابلة للنقد من وجهة نظر العلم فى العصر الحديث" [2] .

وأن محمداً (ﷺ): "خلف للعالم كتاباً هو آية البلاغة وسجل الأخلاق وهو كتاب مقدس وليس بين المسائل العلمية المكتشفة حديثاً مسألة تتعارض مع الأسس الإسلامية فالانسجام تام بين تعاليم القرآن الكريم وبين القوانين الطبيعية" [3] .

مما دفع مؤرخ الأديان نينيان سمارت Ninian Smart فى موسوعته الضخمة (الأديان الكبرى) أن يقرر أن الإسلام ليست له مع العلم خصومة ، بـــل

(١) تفسير الطبرى (٣ / ١)

(٢) موريس بوكاى / القرآن والتوراة والإنجيل والعلم / ص ١٣

(٣) أحمد عزت / الدين والعلم / ص ٢٤.

على العكس قد فتح ذراعيه للعلوم العقلية والطبيعية، فسار الإسلام والعلم فى طريقهما متساندين لا متخاصمين[١].

ولا شك أن الذى قاد العلماء غير المسلمين إلى تلك النتائج الباهرة إلى جانب النتائج العملية للمقارنات بين نصوص القرآن ومعطيات العلوم الحديثة هو ثقتهم فى النص القرآنى، وأن هذا النص موضع الفحص والمقارنة هو القرآن نفسه الذى كان يقرأه محمد (ﷺ) وأوحى إليه .

فقد أخضع أولئك الباحثون النص القرآنى لمعايير علوم تاريخ النصوص ونقدها. يقول رودى بارت: "نحن فى هذا نطبق على الإسلام وتاريخه، وعلى المؤلفات العربية التى نشتغل بها المعيار النقدى نفسه الذى نطبقه على تاريخ الفكر عندنا ، وعلى المصادر المدونة لعالمنا "[٢].

وانتهوا إلى أن القرآن قد بقى محفوظا من التحريف والتغيير وأنه يعود بنصه إلى محمد (ﷺ)[٣] :

فقرر نولدكه أن "النص القرآنى على أحسن صورة من الكمال والمطابقة"[٤]، وأكد لوابلوا الفرنسى: "أن القرآن هو اليوم الكتاب الربانى الوحيد الذى ليس فيه أى تغيير يذكر" [٥]، وقال موريس بوكاى: " لم يتعرض النص القرآنى لأى تحريف من يوم أن أنزل على الرسول - (ﷺ) - حتى يومنا هذا " [٦]، وأثبت بلاشير فى كتابه (مدخل إلى القرآن) أن : " جميع التبليغات التى تلقاها محمد - (ﷺ) - صادرة عن الله ذاته ، وأن الله كان قد ثبتها فى لوح محفوظ " [٧] .

ولكل ذلك لم يجد أحد فلاسفة الروحانيات المسيحية المعاصرة بُدًّا من التسليم

---

(١) Ninian Smart, Die Groβen Religionen, S : 259 - 260 .

(٢) رودى بارت / الدراسات العربية والإسلامية فى الجامعات الألمانية / ص ١٠

(٣) محمد حسين الصغير / المستشرقون والدراسات القرآنية / ص ٨٨

(٤) نقلا عن د . دراز / مدخل إلى القرآن الكريم / ص ٣٩

(٥)نقلا عن د . دراز / مدخل إلى القرآن الكريم / ص٤٠

(٦) موريس بوكاى / القرآن والتوراة والإنجيل والعلم / ص ١٥١

(٧) د . محمد حسين الصغير / المستشرقون والدراسات القرآنية / ص ٣٧

بأن : "الإسلام هو الدين الموثّق الذى من خلاله توثّق بقية الأديان " [1].

ولا جدال فى أن تلك الثقة المطلقة فىسلامة نقل وتواتر النص القرآنى تعود إلى وجه من وجوه الإعجاز القرآنى وهو إعجاز الحفظ ذلك الذى تكفّل به الخالق سبحانه وتعالى فى قوله الكريم : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ [2] .

وقد لازم إعجاز الحفظ نزول القرآن على النبى (ﷺ) بجمع الآيات وبيانها وتثبيتها فى قلب النبى (ﷺ) كما تشير الآية ﴿ لا تُحَرِّكْ به لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ * إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ * فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ * ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ ﴾ [3] .

ثم امتد إلى الوقاية من النسيان كمايبين سبحانه فى سورة الأعلى: ﴿ سَنُقْرِؤُكَ فَلا تَنسَىٰ ﴾ [4].

ثم إلى تيسيره للحفظ والذكر على المسلمين ، رجالا ونساء وأطفالا ، فيقول تعالى : ﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴾ [5] .

ثم فى مراجعة جبريل للنبى (ﷺ) به فى عام وفاته (ﷺ) مرتين.

ثم فى جمعه من على الجلود وسعف النخيل والأوراق بذلك المنهج التوثيقى الذى لا يعرف له العالم مثيلا أثناء خلافة أبى ، ثم فى استنساخه فى عهد عثمان رضى الله عنه وحرق ماعداه من النسخ[6] .

وما من شك فى أنه لولا سبق هذا الوجه من وجوه الإعجاز القرآنى ما أتيحت الفرصة للكشف عن أوجه الإعجاز العلمى فى القرآن، والتى سنقتصر على ذكر أمثلة منها، لأن المقام لا يتسع لغير ذلك، إذ إن آيات القرآن التى تعرض

---

(١) نقلا عن د . رشدى فكار / مقال بمجلة الأمة القطرية / ص ٤٥ – عدد ٦٧ .

(٢) الحجر / ٩

(٣) القيامة / ١٦ – ١٨

(٤) الأعلى / ٦

(٥) القمر / ١٧ ، ٢٢ ، ٣٢ ، ٤٠

(٦) راجع عملية جمع القرآن بمراحلها المتعددة لدى :

محمد عبد العظيم الزرقانى / مناهل العرفان فى علوم القرآن (١ / ٢٣٩ – ٢٨٨)

لحقائق وموضوعات العلوم الكونية تزيد على السبعمائة والخمسين آية بخلاف الآيات المتعلقة بعلوم الاقتصاد، والسياسة، والاجتماع، وعلم النفس، وفلسفة التاريخ، ومناهج التشريع ... الخ .

وسنعرض هذه الأمثلة بحسب موضوعاتها، وذلك على النحو التالى[1]:-

١ - خلق العالم

لم يقدم القرآن رواية واحدة متصلة عن خلق العالم، بل ذكر جوانب متعددة عن هذه العملية فى مواضع متفرقة تحوى التفصيلات التالية :-

أ - مراحل الخلق، وعنها يذكر القرآن: ﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ﴾ [٢].

وتمثل هذه الأيام الستة مراحل أو فترات طويلة من الزمن ، إذ يقول سبحانه عن اليوم: ﴿ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ﴾ [٣]، ويقول: ﴿تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ [٤] .

وبهذا فإن يوم الخلق لا يعنى اليوم الذى نحسبه بأربع وعشرين ساعة ، بل يعنى مرحلة زمنية طويلة أو فترة من فترات الخلق .

ب - طريقة الخلق

يقدم القرآن خلاصة لظاهرتين أساسيّتين فى تشكيل الكون، وهما قوله تعالى:

---

(١) اعتمدت فى تلخيص هذه الأمثلة على المصادر التالية بخلاف ما تقتضى الضرورة الإشارة إليه فى موضعه:

= موريس بوكاى / القرآن والتوراة والإنجيل والعلم ، ما أصل الإنسان .

= د . محمد جمال الفندى / الله والكون

= محمد أحمد الغمراوى / الإسلام فى عصر العلم

= د . محمد الشرقاوى / القرآن والكون

= د . منصور حسب الله / القرآن الكريم والعلم الحديث

= كارل ساغان / الكون / سلسلة عالم المعرفة (١٧٨)

= روبرت م . أعروس – جورج ستانسيو / العلم فى منظوره الجديد / سلسلة عالم المعرفة (١٣٤)

(٢) السجدة / ٤

(٣) السجدة / ٥

(٤) المعارج / ٤

﴿ ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاء وَهِيَ دُخَانٌ ﴾[1]، وقوله: ﴿ أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاء كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ﴾ [2] .

وهنا إشارة إلى كتلة غازية وعملية فتق للكتلة الفريدة الأولى التى كانت ملتحمة الأجزاء .

جـ - طبيعة الخلق

يشير القرآن إلى تعدد السموات والأرضين والعوالم المخلوقة، وذلك فى قوله تعالى: ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [3]، وقوله: ﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الأَرْضِ مِثْلَهُنَّ﴾ [4] .

وبمقابلة التقريرات القرآنية عن عملية الخلق بمعطيات العلوم الحديثة تتضح المطابقة بين مراحل الخلق ذات الفترات الزمنية الطويلة وبين تقديرات العلماء لعمر الكون منذ نشأته والتى تتراوح بين ١٥ إلى ٢٠ مليارسنة ، كذلك الأمر بالنسبة لنشأة الكون عن طريق الفتق الذى أسماه العلماء التفجير الاستثنائى أو الانفجار الكبير (The Big Bang) ، وأن المطابقة واضحة بين مفهوم السديم الأولى فى العلم الحديث وبين الدخان فى آية فصلت ، وقد بين علم الفلك بمراقبه ومراصده وتحليلاته الرياضية وغير الرياضية أن المجموعة الشمسية التى نحن فيها ومنها، ليست فى هذا العالم شيئاً مذكورا ، بل نعيش نحن البشر على حد تعبير كارل ساغان أستاذ الفلك والمراصد على " ذرة من الغبار " تدور حول نجم رتيب فى أبعد زاوية من مجرة مظلمة تسبح فى فضاء كونى لو أُدخلنا إليه بالمصادفة فإن احتمال أن نجد أنفسنا على أو قرب كوكب ما سيكون أقل من واحد فى مليار تريليون تريليون أى ١ × ١٠^{٣٣} ، % .

<u>٢ - الفلك</u>

يحتوى القرآن على كثير من الإيضاحات حول علم الفلك، تشمل المعطيات التالية:

---

(١) فصلت / ١١
(٢) الأنبياء / ٣٠
(٣) الفاتحة / ٢
(٤) الطلاق / ١٢

أ – تأملات عامة فى السماء

يقول تعالى: ﴿ اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا﴾ [1] ، وهو المبدأ الحاكم لعدم إطباق السماء على الأرض ، وذلك عن طريق أساس التوازن القائم على التناسب الطردى بين الكتل والمسافات ، فكلما تباعدت الأجرام وهنت قوة جذب كل منها للأخرى.

ب – طبيعة الأجرام السماوية

يفرق القرآن بين الشمس والقمر فى قوله تعالى: ﴿ وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا﴾ [2]، فيعبر عن الشمس بالسراج الوهاج وعن القمر بالنور ، ومن المعروف أن الشمس نجم ينتج باحتراقه الداخلى حرارة شديدة وضوءاً ، فى حين أن القمر ليس مضيئاً بذاته بل هو يعكس الضوء الذى يستقبله من الشمس .

جـ – حركة الشمس والقمر

يذكر القرآن حركة الشمس والقمر فى اتجاه معين ولزمن معين، يقول تعالى: ﴿ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لأَجَلٍ مُّسَمًّى [3]، ويقول: ﴿ وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾ [4].

وتسمح المعطيات الحديثة بالتنبؤ بأنه بعد عدة مليارات من السنوات لن تكون ظروف النظام الشمسى على ما هى عليه اليوم بل يمكن توقع نهاية هذا النظام كما حدث بالنسبة لنجوم أخرى. أما عن جريان الشمس نحو مستقر لها ، فقد حدد علم الفلك سرعة جريان الشمس بـــ١٩ كم فى الثانية تقريبا ، وأن هذا المستقر فى اتجاه نجم يطلق عليه (فيجا Vega) أو النسر الواقع بالعربية .

د – مواقع النجوم

أقسم الله تبارك وتعالى فى القرآن الكريم بمواقع النجوم ، قال تعالى : ﴿ فَلا

---

(١) الرعد / ٢

(٢) نوح / ١٦

(٣) الرعد / ٢ ، لقمان / ٢٩ ، فاطر / ١٣ ، الزمر / ٥

(٤) يس / ٣٨

أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ * وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾ (١) ، وللوقوف على سر عظمة هذا القسم يجب معرفة ما تمَّ كشفه من نتائج أبحاث الفلكيين عن النجوم حتى الآن ، وهى تقرر أن كوننا حوالى ١٠٠ مليار مجرة ، فى كل مجرة ١٠٠ مليار نجم تقريبا أى أن عدد النجوم يبلغ تقريبا $١٠^{١١}$ × $١٠^{١١}$ = $١٠^{٢٢}$ أو عشرة مليارات تريليون نجم .

أما المسافات بين هذه النجوم والتى تقاس بالسنة الضوئية والسنة الضوئية هى المسافة التى يقطعها الضوء بسرعته المعروفة (٣٠٠٠٠٠ كم / ث) فى زمن قدره سنة أرضية كاملة، أى أن السنة الضوئية = ٣٠٠٠٠٠ × ٦٠×٦٠ × ٢٤ × ٣٦٥ $\frac{١}{٤}$ = ١٠ تيريليون كم .

فإن الفلكيين استطاعوا تحديد البعد التقريبى لبعض النجوم اللامعة عن الأرض ، كما يتضح من الجداول التالى :

اسم النجم	البعد عنا بالسنين الضوئية
الشعرى	٩
يروسيون	١١
الطائر	١٧
فيجا	٢٧
اركتوروس	٣٦
كابيلا	٤٦
الدابران	٦٨
منكب الجوزاء	٥٢٠
انتاريس	٥٢٠
ذنب	٦٠٠
ريجيل	٩٠٠

وقد أتاح مرصد جبل ماونت بالومار فى أمريكا تصوير مجرات تقع على مسافات أكبر من ٣٠٠ مليون سنة ضوئية باستخدام تليسكوب ذى مرآة قطرها ٢٠٠ بوصة .

(١) الواقعة / ٧٥ - ٧٦

٣ - الأرض

تنوعت الآيات القرآنية التى تعالج موضوع الأرض من حيث :

أ - دورة الماء والبحار

يقول تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاء مَاء فَسَلَكَهُ يَنَابِيعَ فِي الْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا مُّخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ﴾ (١)، ويقول: ﴿ مرج البحرين يلتقيان بينهما برزخ لا يبغيان﴾ (٢).

فبالنسبة للآية الأولى يؤكد علم الهيدرولوجيا صحة دورة حركة المياه كما صورها القرآن ، وذلك بتبخر ماء المحيطات بواسطة الإشعاع الحرارى ، فيتصاعد بخار الماء نحو الجو ويشكل سحبا تنقلها الرياح إلى مسافات مختلفة ، ثم يتساقط المطر بعد تجزء هذه السحب لتعود تلك المياه إلى المحيطات والبحار والأنهار فتتكرر الدورة ، أما الماء الذى يسقط على التربة فيمتص بواسطة النبات ويتسلل جزء منه إلى التربة ويصب عن طريق المجارى المائية فى الينابيع والعيون .

أما عن البرزخ أو الحجر المحجور بين الماء العذب والماء المالح فهو الحاجز الناشئ عن الضغط التنافذى الموجه من الماء العذب إلى الماء المالح ، فيجعل مياه الأنهار تمتد فى البحار مسافات طويلة دون حدوث العكس ، وهو الناتج أيضا عن قانون الجاذبية الناشئ من انحدار مستوى مياه البحار عن مستوى مياه الأنهار ، مما يجعل مياه الأنهار تندفع بشدة نحو البحار فيكون اتجاه تدفق المياه من المستوى الأعلى للأدنى .

ب - تضاريس الأرض

يتحدث القرآن عن تشكل الأرض من بساط مفروش وجبال راسيات ، يقول تعالى: ﴿ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ بِسَاطًا * لِتَسْلُكُوا مِنْهَا سُبُلا فِجَاجًا ﴾ (٣) ، ويقول: ﴿ أَلَمْ نَجْعَلِ الأَرْضَ مِهَادًا * وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا ﴾ (٤)

---

(١) الزمر / ٢١

(٢) الرحمن / ١٩ ، ٢٠

(٣) نوح / ١٩ ، ٢٠

(٤) النبأ / ٦ ، ٧

وذلك ما يتفق ومعطيات علم الجيولوجيا الذى بين أن تركيب الأرض من قشرة سطحية باردة وصلبة ومستوية تتخللها تعرجات هى أصل سلاسل الجبال التى تعد بروزا مرتبطا فى العمق بطبقات الأرض التحتية التى يزيد سمكها عن ٦٠٠٠ كم ، وتعمل كمثبت للقشرة الأرضية .

جـ - الثروات المعدنية

أشار القرآن إلى الحديد مثلا فى قوله تعالى: ﴿ **وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ** ﴾ (١) .

والبأس الشديد هنا قد يشير إلى استخدام الحديد فى الصناعات العسكرية أو المدنية التى تكون أدوات للصراع والتنافس الاقتصادى، أو إلى الخواص المغناطيسية القوية للحديد الذى تكون الطبقات السفلى السائلة منه أعلى حرارة من الطبقات العليا مما يحدث تيارات حمل فى اتجاه رأسى تؤدى مع دوران الأرض حول محورها إلى توليد الطاقة اللازمة لإنتاج التيار الكهربى الذى يولد بدوره مجالاً مغناطيسيًّا قويًّا لكوكب الأرض.

أما إشارة القرآن إلى الحديد بأنه أُنزل ، فتطابق ما تقرر من كون الحديد قد تم طبخه فى الماضى البعيد فى باطن نجم معين عند درجة حرارة تصل إلى آلاف الملايين من الدرجات، ثم قُذف به إلى باطن الأرض عند انفجار النجم (سوبر نوفا) .

د - طبقات الغلاف الجوىّ

تحدث القرآن عن بعض الظواهر الحادثة فى الجو مما أيدته المعارف الحديثة وذلك مثل قوله تعالى: ﴿ **فَمَن يُرِدِ اللَّهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلإِسْلاَمِ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ** ﴾ (٢) .

فقد بات مقطوعاً به أن كميات الأكسجين اللازم للتنفس تقل كلما ارتفع الإنسان عن سطح البحر، بصورة قد تؤدى إلى الاختناق إذا ما زاد هذا الارتفاع عن عشرة كيلو مترات مالم يكن الإنسان محمياً داخل غرف مجهزة أو مزوداً بأنابيب للأوكسجين.

---

(١) الحديد / ٢٥

(٢) الأنعام / ١٢٥

٤ - خلق الإنسان

انتهى علماء الأجنة والتناسل والمسالك البولية إلى أن عملية التناسل البشرى تتم على الوجه التالى :-

تبدأ بانفصال بويضة عن المبيض، ثم تخصيبها بعامل مخصب هو حيوان منوى ذكرى ، عبارة عن خلية واحدة **(أى كمية ضئيلة جداً)**، ويُنتج هذا السائل المنوى بواسطة الخصيتين ويُخزّن فى الحويصلات المنوية وفى القنوات التى تؤدى فى النهاية إلى المسالك البولية ، وتوجد غدد متفرقة بطول هذه المسالك تضيف إلى السائل المنوى إفرازات إضافية غير مخصِّبة .

وفى منطقة معينة من جهاز الأنثى التناسلى تعشش البويضة المخصبة، حيث تعلق بهذه المنطقة المسماة بالرحم وتدخل فى سمكه ثم فى عضلته.

ويبدو الجنين فى هذه الحالة على شكل كتلة من اللحم الممضوغ، ويتم فى هذه الكتلة تدريجيا وعبر مراحل متوالية ومعروفة تكوّن الهيكل العظمى الذى ستحيط به العضلات والجهاز العصبى والدورى، وكذلك الأحشاء وما إلى غير ذلك.

وتلك هى بالضبط المعلومات التى ذكرها القرآن عن عملية التناسل ، وذلك فى النقاط التالية :-

أ - الإخصاب بفضل كمية ضئيلة جدا من الماء

يقول تعالى:﴿ **خَلَقَ الإنسَانَ من نُّطْفَة** ﴾[١]، ويقول: ﴿ **أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِيٍّ يُمْنَى**﴾ [٢]، ويشير القرآن إلى مكان استقرار النطفة الآمن بقوله: ﴿ ثم جعلناه نطفة فى قرار مكين﴾ [٣] ، وهذه أدق صفة لوصف الرحم المحصن جيدا بواسطة عظام حوض المرأة .

ب - طبيعة السائل المخصّب

يذكر القرآن اثنتين من صفات هذا السائل وهما ، أنه ماء دافق وأنه خليط

---

(١) النحل / ٤

(٢) القيامة / ٣٧

(٣) المؤمنون / ١٣

من عناصر متعددة ، وذلك فى قوله تعالى: ﴿ خُلِقَ مِن مَّاء دَافِقٍ﴾ [١] ، وقوله ﴿ إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ﴾ [٢] ، ومعلوم أنَ ماءَ الرجل يَخرج بطريق الدفق، وأنه يتشكل منَ إفرازَات تأتى من الخصيتين، ومن الحويصلات المنوية، ومن البروستاتا، ومن الغدد الملحقة بالمسالك البولية.

جـ- تعشيش البويضة فى الرحم

وهنا يشير القرآن إلى أمرين : أولهما ضرورة قرار البويضة فى الرحم ، يقول تعالى: ﴿ وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاء إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ [٣]، والثانى أن تعشيش البويضة فى الرحم يكون عن طريق التعلق ، يقول تعالى : ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ * خَلَقَ الإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ ﴾ [٤]، ويقول: ﴿ أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِيٍّ يُمْنَى * ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّى ﴾ [٥].

د - تطور الجنين

وهو ما يصفه القرآن بمنتهى الدقة فى قوله تعالى: ﴿ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين ، ثم جعلناه نطفة فى قرار مكين، ثم خلقنا النطفة علقة، فخلقنا العلقة مضغة ، فخلقنا المضغة عظاماً، فكسونا العظام لحماً، ثم أنشأناه خلقا آخر ، فتبارك الله أحسن الخالقين ﴾ [٦] .

ويمكن القول بأن نواحى الإعجاز العلمى التى سبقت الإشارة إليها لهى أبلغ رد على الذين يقولون بأن القرآن نزل فى القرن السابع الميلادى فى شبه الجزيرة العربية ويجب أن يفهم فى هذا الإطار فقط .

فأين حضارة شبه جزيرة العرب فى القرن السابع الميلادى من تلك العلوم والمعارف التى حواها القرآن ولم يُكْشف عن بعض منها إلا فى القرن العشرين !؟

---

(١) الطارق / ٦
(٢) الإنسان / ٢
(٣) الحج / ٥
(٤) العَلَق / ١ - ٢
(٥) القيامة / ٣٧ - ٣٨
(٦) المؤمنون / ١٢ - ١٤

مصادر ومراجع البحث

أولا : القرآن الكريم

ثانيا : كتب السنة النبوية

١ ــ جامع الترمذى

٢ ــ صحيح البخارى

ثالثا : الكتب المقدسة لدى أهل الكتاب

١ ــ العهد الجديد (نسخة الكاثوليك)، اعتماد بولس باسيم، دار المشرق. بيروت ١٩٨٩م

٢ ــ العهد القديم (نسخة الكاثوليك)، اعتماد بولس باسيم، دار المشرق. بيروت ١٩٨٩م.

رابعا : المعاجم

المعجم الوسيط ، إصدار مجمع اللغة العربية بالقاهرة ١٣٩٢هـــ ــ ١٩٧٢م.

خامسا : دوائر المعارف المتخصصة

Theologische Realenzklopuedie , London - New York - Bonn .

سادسا : مصادر ومراجع أخرى

١ ــ إبراهيم الجبهان ، ما يجب أن يعرفه المسلم من حقائق عن النصرانية والتبشير ، الرئاسة العامة للبحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد . الرياض ١٤٠٤هـــ .

٢ ــ إبراهيم خليل أحمد ، المستشرقون والمبشرون فى العالم العربى والإسلامى ، مكتبة الوعى العربى ، القاهرة ١٩٦٤م .

٣ــ إبراهيم موسى هنداوي، الأثر العربى فى الفكر اليهودى، مكتبة الأنجلو المصرية١٩٦٣م .

٤ ــ أحمد عبد الحميد غراب، رؤية إسلامية للاستشراق، المنتدى الإسلامى، لندن ١٤١١هــ.

٥ ــ أحمد نوفل، سورة يوسف: دراسة تحليلية، دار الفرقان. عمّان ١٤٠٩هــ ــ ١٩٨٩م .

٦ــ إدوارد سعيد، الاستشراق، ص٣٠٠، بترجمة كمال أبو ديب، مؤسسة الأبحاث العربية. بيروت ط٢ : ١٩٨٤م .

٧ ــ ارنست رينان، ابن رشد والرشدية، عادل زعيتر، القاهرة ١٩٥٧م .

٨ ــ إسماعيل سالم عبد العالم، المستشرقون والقرآن، سلسلة دعوة الحق ــ عن رابطة العالم الإسلامى، العدد ١٠٤، مكة المكرمة ١٤١٠هــ ــ ١٩٩٠م.

٩ ــ أعراب عبد الحميد، دائرة المعارف الإسلامية، ندوة مصادر المعلومات عن العالم الإسلامى الرياض (٢٢ ــ٢٥ رجب ١٤٢٠هــ، ٣١ اكتوبرــ ٣ نوفمبر ١٩٩٩م).

١٠ ــ أ. ل شاتيله، الغارة على العالم الإسلامى، نشرة محب الدين الخطيب. بيروت، د. ت.

١١ ــ أنيس فريخة، مخطوطات البحر الميت وجماعة قمران. بترجمة إبراهيم مطر. بيروت ١٩٥٧م.
١٢ــ بابا دو بولس، تاريخ كنيسة أنطاكية ، منشورات النور ، بيروت ١٩٨٤م.
١٣ــ البيجوري، تحفة المريد فى شرح جوهرة التوحيد، دار الكتب العلمية. بيروت ١٩٨٣م .
١٤ــ التنصير: خطة لغزو العالم الإسلامى (الترجمة الكاملة لأعمال مؤتمر كلورادو التبشيري)، دون بيانات.
١٥ــ التهامى نقرة، سيكولوجية القصة فى القرآن، الشركة التونسية للتوزيع. تونس ١٩٧٤م.
١٦ــ توماس أرنولد، الدعوة إلى الإسلام، مكتبة النهضة المصرية، الطبعة الثانية.
١٧ــ ابن تيمية، الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، مطبعة المدنى، مصر، بدون ترقيم.
١٨ــ تيودور أبو قرة، ميمر فى وجود الخالق والدين القويم، بتحقيق: اغناطيوس ديك. بيروت ١٩٨٢م .
١٩ــ جلال العالم، دمروا الإسلام وأبيدوا أهله، مكتبة الصحابة جدة ــ مكتبة التابعين، القاهرة. ١٩٩٤م.
٢٠ــ جواد علي، يوحنا الدمشقى، مجلة الرسالة (مصر)، (عدد ٦١٠)، والعدد (٦١٢) ربيع الآخر ١٣٦٤هـ – مارس ١٩٤٥م.
٢١ــ جورج عطية، الجدل الدينى المسيحى ــ الإسلامي فى العصر الأموى وأثره فى نشوء علم الكلام، كتاب المؤتمر الدولى الرابع لتاريخ بلاد الشام ــ جامعة اليرموك. عمّان ١٩٨٩م.
٢٢ــ جوستاف لوبون، حضارة العرب، بترجمة عادل زعيتر، دار إحياء الكتب العربية. القاهرة ١٩٦٩م.
٢٣ــ جولد تسهر، مذاهب التفسير الإسلامى، بترجمة عبد الحليم النجار، القاهرة ١٩٥٥م.
العقيدة والشريعة فى الإسلام، بترجمة محمد يوسف موسى وآخرون، القاهرة ١٩٤٨م.
٢٤ــ جيمس فريزر، الفلكلور فى العهد القديم، بترجمة نبيلة إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٣م.
٢٥ــ حسن حنفى، نماذج من الفلسفة المسيحية، الأنجلو المصرية. القاهرة ١٩٨٨م .
٢٦ــ حسن طبل، حول الإعجاز البلاغى للقرآن، مكتبة الإيمان، ط١، مصر ١٤٢٠هــ ــ ١٩٩٩م .

٢٧ـ حسين علي محمد ، القرآن ونظرية الفن ، القاهرة ١٤١٣هـ ـ ١٩٩٢م .
٢٨ـ دانييل ساهاس، جدل يوحنا الدمشقى مع الإسلام، مجلة الاجتهاد بيروت، عدد(٢٨) السنة السابعة (١٤١٦هـ ـ ١٩٩٥م) .
٢٩ـ رشا الصباح، الإسلام والمسيحية فى العصور الوسطى، مجلة عالم الفكر، عدد (٣) المجلد الخامس عشر . وزارة الإعلام ، الكويت .
٣٠ـ رشاد عبد الله الشامى، الشخصية اليهودية، سلسلة عالم المعرفة العدد(١٠٢). وزارة الإعلام بالكويت .
٣١ـ رشيد رضا، الوحى المحمدى، المكتب الإسلامى، دمشق ١٣٩١هـ ـ ١٩٧١م .
٣٢ـ روم لاندو، الإسلام والعرب، بترجمة منير البعلبكى، دار العلم للملايين، بيروت ١٩٧٧م .
٣٣ـ زينون كاسيدوفسكي، الحقيقة والأسطورة فى التوارة، الأبجدية للنشر. دمشق ١٩٩٠م .
٣٤ـ سعد العتيبى، نفوذ اليهود فى عهد المغول الإيلخانيين، مجلة الدرعية (عدد٦، ٧) ربيع الأخر ـ رجب ١٤٢٠هـ/ أغسطس، نوفمبر ١٩٩٩م المملكة العربية السعودية.
٣٥ـ سعد بن منصور بن كمونة ، تنقيح الأبحاث للملل الثلاث ، نشرة موسى برلمان ، مطبوعات جامعة كاليفورنيا ١٩٦٧م .
٣٦ـ سعيد عاشور ، الحركة الصليبية ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ١٩٦٣م.
٣٧ـ سيد قطب : التصوير الفني فى القرآن ، دار المعارف ، القاهرة ١٩٦٦م . فى ظلال القرآن ، دار الشروق . القاهرة ١٤٠٢هـ ١٩٨٢م .
٣٨ـ عبد الجواد المحص، أباطيل الخصوم حول القصص القرآني ، الدار المصرية. الاسكندرية ١٤٢٠هـ ـ ٢٠٠٠م .
أدب القصة فى القرآن الكريم ، الدار المصرية بالإسكندرية ١٤٢٠هـ ـ ٢٠٠٠م .
٣٩ـ عبد الحميد مدكور ، الترجمة والحوار مع الآخر ، كتاب المؤتمر الدولى الأول للفلسفة الإسلامية ((الفلسفة الإسلامية والتحديات المعاصرة)) المنعقد بدار العلوم. القاهرة ١٩٩٦م .
٤٠ـ عبد الراضى محمد عبد المحسن ، أسس فلسفة الأخلاق الإسلامية ، مجلة الجمعية الفلسفية المصرية ، السنة السادسة . عدد ٦ ، القاهرة ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م .
٤١ـ عبد الرحمن بدوى، دفاع عن القرآن ضد منتقديه ، دار الجليل، ط١، بترجمة كمال

جاد الله . القاهرة ١٩٩٧م .
موسوعة المستشرقين ، دار العلم للملايين ، ط٢ ، بيروت ١٩٨٩م .
٤٢ــ عبد الرحمن حبنكة الميدانى أجنحة المكر الثلاثة ، دار العلم ، دمشق ط ٥ ، ١٤٠٧هـــ ــ ١٩٨٦م.
٤٣ــ عبد العزيز العسكر ، التنصير ومحاولاته فى الخليج العربى ، العبيكان ، ط١، الرياض ١٤١٤هـــ ــ ١٩٩٣م .
٤٤ــ عبد اللطيف الطيباوى ، المستشرقون الناطقون بالانجليزية ، الترجمة العربية الملحقة بكتاب الفكر الإسلامى الحديث . د . محمد البهى . مكتبة وهبة ، ط٨ ، ١٩٧٥م .
٤٥ــ ابن العسال ، الصحائح فى جواب النصائح ، القاهرة سنة ١٦٤٣ قبطية .
٤٦ــ علي النملة، الاستشراق فى الأدبيات العربية ، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية ، ط١ ، ١٤١٤هــ- ١٩٩٣م .
التنصير ، ١٩٩٣م بدون بيانات .
٤٧ــ علي جريشة ــ محمد الزيبق ، أساليب الغزو الفكرى ، ط٢ ، دار الاعتصام. مصر.
٤٨ــ عمر الأشقر ، عالم الملائكة ، دار النفائس . الأردن ١٩٩٥م .
٤٩ــ عمر رضوان ، آراء المستشرقين حول القرآن الكريم وتفسيره ، دار طيبة . الرياض ١٤١٣هــ - ١٩٩٢م .
٥٠ــ فروخ ــ الخالدى ، التبشير والاستعمار فى البلاد الإسلامية ، المكتبة العصرية . بيروت ١٩٨٦م .
٥١ــ ابن الفوطى ، الحوادث الجامعة والتجارب النافعة فى المائة السابعة ، بتحقيق مصطفى جواد ، بغداد ١٩٣٢م .
٥٢ــ فريد مصطفى سليمان ، محمد عزة دروزة وتفسير القرآن الكريم، مكتبة الرشد، الرياض ١٤١٤هــ - ١٩٩٣م.
٥٣ــ قاسم السامرائى ، الاستشراق بين الموضوعية والافتعالية ، دار الرفاعى ــ الرياض ١٤٠٣ هـــ ــ ١٩٨٣م .
٥٤ــ كارل ساغان، الكون، سلسلة عالم المعرفة (١٧٨) ، وزارة الإعلام بالكويت .
٥٥ ــ ابن كثير ، البداية والنهاية ، دار هجر . القاهرة ١٤١٧هــ ــ ١٩٩٧م .

٥٦ــ لويس شيخو، المخطوطات العربية لكتبة النصرانية ، طبع الآباء اليسوعيين، بيروت ١٩٤٢م .

مقالات دينية قديمة لبعض مشاهير الكتبة النصارى ، طبع الآباء اليسوعيين. بيروت ١٩٠٦م .

٥٧ــ لويس غرديه ــ جورج قنواتى ، فلسفة الفكر الدينى ، دار العلم للملايين ، ط١ ، بيروت ١٩٦٧م .

٥٨ــ مالك بن نبى ، الظاهرة القرآنية ، بترجمة عبد الصبور شاهين ، دار الفكر. دمشق ١٤٠٢هــ ــ ١٩٨١م .

٥٩ــ محمد أبو فراخ ، تراجم القرآن الأجنبية فى الميزان ، مجلة كلية أصول الدين بجامعة الإمام بن سعود الإسلامية. العدد الرابع (عام ١٤٠٢هــ ــ ١٤٠٣هــ).

٦٠ــ محمد أسد ، الإسلام على مفترق الطرق ، العلم للملايين ، بيروت، ١٩٨٧م.

٦١ــ محمد البهى ، المبشرون والمستشرقون فى موقفهم من الإسلام ، الإدارة العامة للثقافة ــ مطبعة الأزهر . القاهرة ، د . ت .

٦٢ــ محمد بن جرير الطبري ، تاريخ الأمم والملوك ، ط٥ ، دار المعارف . القاهرة .

٦٣ــ محمد خليفة حسن ، آثار الفكر الاستشراقى فى المجتمعات الإسلامية ، دار عين للبحوث والدراسات . القاهرة ١٩٩٧م .

٦٤ــ محمد السماك ، مقدمة إلى الحوار الإسلامى ــ المسيحي ، دار النفائس ، بيروت ١٤١٨هــ ١٩٩٨م .

٦٥ــ محمد الشرقاوى ، الاستشراق، مطبعة المدينة . القاهرة . د . ت.

٦٦ــ محمد صالح البنداق ، المستشرقون وترجمة القرآن الكريم ، دار الآفاق الجديدة ، ط٢ ، بيروت ١٤٠٣هــ ــ ١٩٨٣م .

٦٧ــ محمد عبد الله دراز، مدخل إلى القرآن الكريم،دار القلم، الكويت١٣٩١هــ ت ــ١٩٧١م.

٦٨ــ محمد عبد الواحد عسيرى ، صورة الإسلام والمسلمين فى قاموس الأديان ، بحث مقدم إلى ندوة مصادر المعلومات عن العالم الإسلامى المنعقدة فى الرياض (٢٢ ــ ٢٥ رجب ١٤٢٠هــ / ٣١ أكتوبر ــ ٣ نوفمبر ١٩٩٩م).

٦٩ــ محمد عثمان بن صالح ، النصرانية والتنصير أم المسيحية والتبشير، مكتبة ابن القيم، المدينة المنورة ١٤١٠هــ - ١٩٨٩م.

٧٠ــ محمد عمارة ، استراتيجية التنصير فى العالم الإسلامى ، مركز دراسات العالم الإسلامى . مالطة ، ط١ ، ١٩٩٢م .

٧١ــ محمد فتحى عبد الهادى ، المصادر المرجعية عن الإسلام والمسلمين ، ندوة مصادر المعلومات عن العالم الإسلامى .

٧٢- محمد الفيومى، الاستشراق رسالة استعمار ، ص ٤٦٤ - ٣٦٥، دار الفكر العربى. القاهرة ١٤١٣هــ- ١٩٩٣م .

٧٣ــ محمود العابدي ، مخطوطات البحر الميت ، دائرة الثقافة والفنون. عمان ١٩٦٧م .

٧٤ــ موريس بوكاى، القرآن الكريم والتوراة والإنجيل والعلم، دار المعارف. لبنان ١٩٧٧م .

٧٥ــ نجيب العقيقي ، المستشرقون ، دار المعارف ، ط٤ ، مصر .

٧٦ــ ابن هشام الحميرى ، السيرة النبوية ، ط٢ ، مطبعة الحلبى ، القاهرة ١٣٧٥هــ.

٧٧ــ يوهان فوك ، تاريخ حركة الاستشراق ، بترجمة عمر العالم ، ط١ ، دار قتيبة ، دمشق ــ بيروت ١٤١٧هــــ ــ ١٩٩٦م .

سابعاً : مراجع باللغات الأجنبية

1- A . K . Wells , Outlines of geoloical History , London 1938 .

2- Adel Theodore Khoury , Der theologische Streit der Byzantiner mit dem Islam .

3- Anton Pegis , St . Anselm and the Argument of the Proslogion , Medioeval Studies 28 (1966) .

4- B .F . Westcott ,The Bible in the Church, Grand Rapids .(U.S.A 1980).

5- Dena John Geanakohlos , Byzantine East and Latin West : Two Worlds of Christiandom in Middle Ages and Renaissance , Harpertoneh Books , New York 1966 .

6- Francis Dvornik , The Ecumenical Concils , Hawthorn Books . New York 1961 .

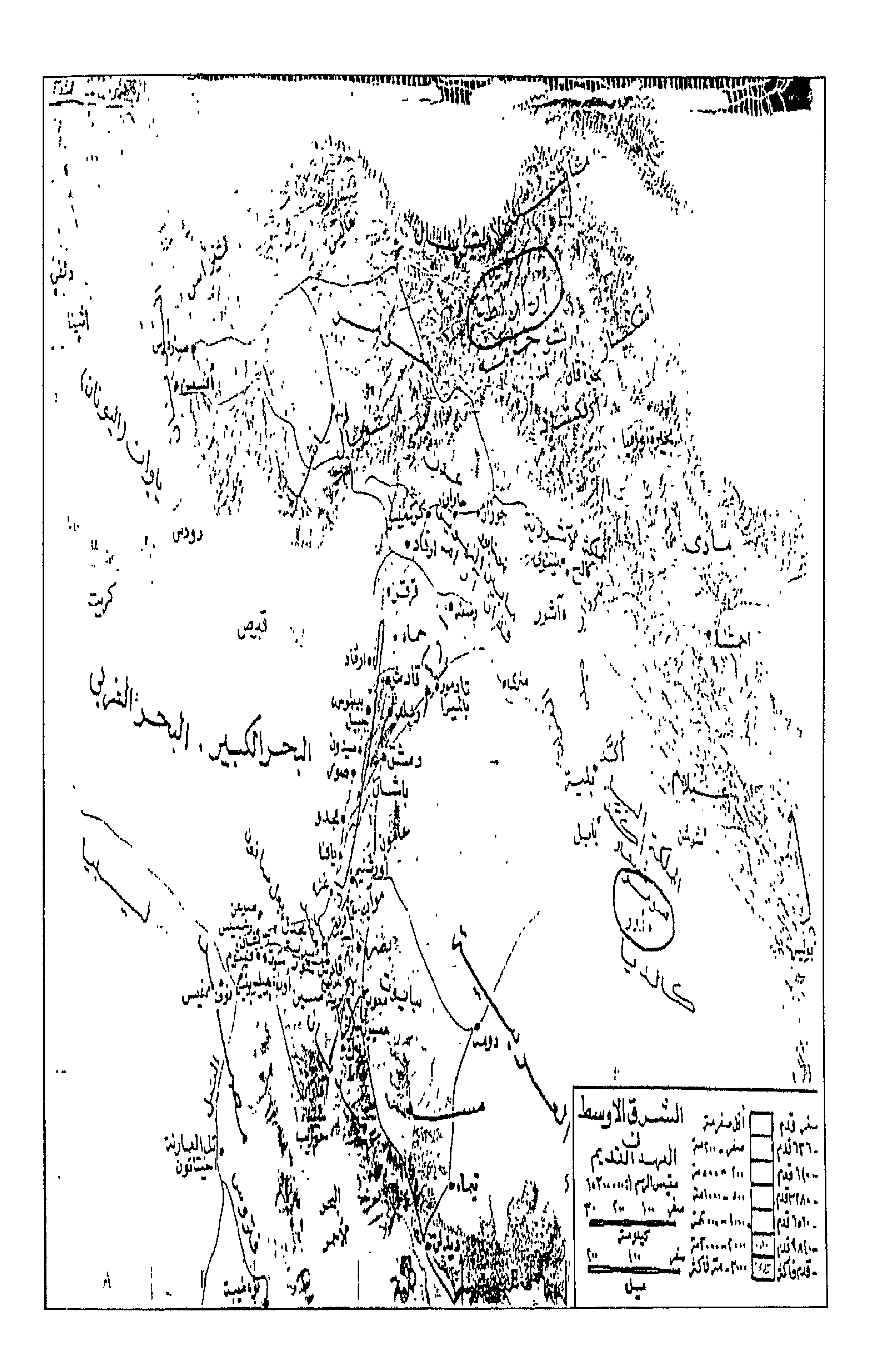
7- Goetz schregle , Deutsch - Arabisches Woerterbuch, London – Beirut 1977

8- Hans. Joachim Kraus , Geschichte der historisch - Kritischen Erforschung des Alten Tesament , Neukirchen - Vluyn . 1969 .
9- Hermann Lais , Was sagt die Kirche zum Wunder in : Wunder und Magie , Gesmmelten Beitraege , Wuerzburg 1962 .
10- Julius Richter , Ahistory of the Protestant Missions in The Near East , New York 1910 .
11- J. M . Robinson , Die Bedeutung der Bibliothek von Nag Hammadi Fuer die heutige Theologie und das Fruhe Christentum, Bamberg 22.6.93 (vortrag) .
12- Katechismus der katholischen kirche . Leipzig - schweis 1993 .
13- Klaus Hock, Der Islam im Spiegel westlicher Theologie, Deutschland 1989 .
14- Moses ben Maimone : Sein Leben , Seine Werke und sein Einfluss, Hrsg . von: W . Bacher . Leipzig 1908
15- Montgomery Watt, The Influence of Islam on Medieval Europe , Edinburgh up 1972 .
16- R . Smend , Die Entstehung des Alten Testament, Stuttgart – Mainz 1978.
17- Rudolf Smend , Epochen der Bibelkritik , Muenscchen 1991 .
18- Religionen der Welt , Bertlsmann Handbuch , Heraus gegeben von : Monika und Udo Tworuschka . Muenschen Guetersloh 1992 .
19- Rudolf Bultmann , Neues Testament und Mythologie , in : Kergma und Mythos , Hrsg . von : Hans - Wemer . Hamburg 1960.
20- Saint Clair Tisdall, The Original Sourees of the Quran, London , 1905.
21- Theologische Realenzklopuedie, London - New York - Bonn .
22- Trevor - Roper , Hugh , The Rise of Christian Europe , London 1978.
23-Werner .Kuemmel , Einleitung in das Neue Testament ,Heidlberg 1983.
24- Willim Born ,Christlicher Glaube und Naturwissenschaft ,Blefeld 1954.
25- Zwemer S., The Translation of the Quran , The Muslim World, 1973 .

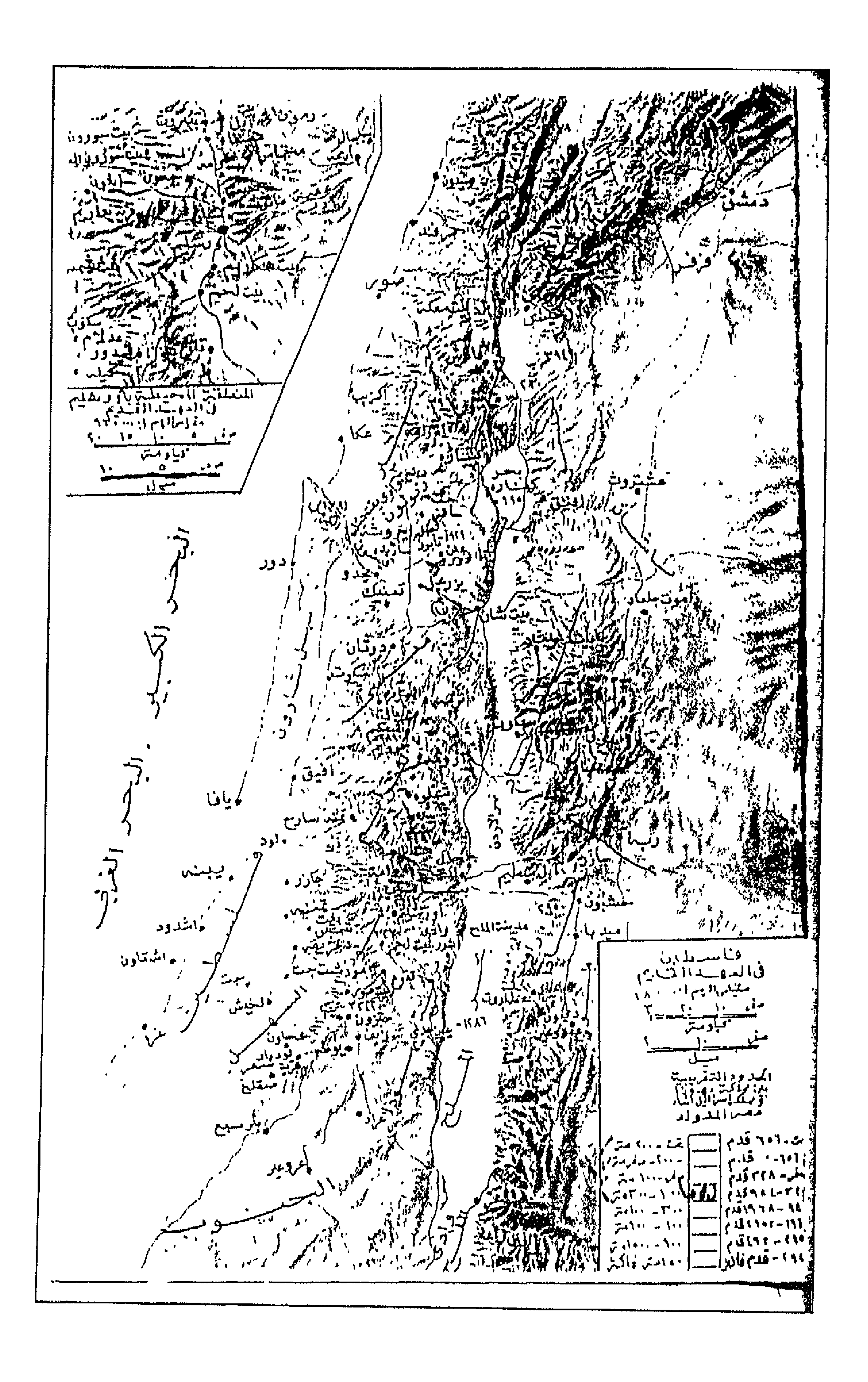
ملاحق البحث

ملحــق (١)

خريطة تبين موقع الطوفان بحسن الرواية التوراتية، وتبين في الآن نفسه الموقع الآخر الذي تحدده نتائج الحفريات بما يتوافق مع إشارة القرآن.



الشرق الأوسط
في
العهد القديم
البحر الكبير، البحر الغربي
رودس
كريت
قبرص
حماة
دمشق
أورشليم
أشور
بابل
ماذى
دومة
تيماء
كيلومتر
ميل



دمشق
عكا
دور
مجدو
تعنك
يافا
لود
يبنه
اشدود
اشقلون
غزة
جازر
أفيق
البحر الكبير
البحر الغربي
عشتروث
ربة
حشبون
ميدبا
بئر سبع
كيلومتر
ميل

المحتويات

الإهداء -- ٧

المقدمة -- ٩

الفصل الأول

حركة الجدل التنصيري ضد أصالة القرآن الكريم

المبحث الأول : حقيقة التنصير -- ١٥

مفهوم التنصير ، خطورة التنصير في مجال القرآن الكريم ، ضرورة مواجهته

المبحث الثاني: دوافع الجدل التنصيري ضد أصالة القرآن الكريم------------- ٢٠

صرف الأنظار بعيداً عن القرآن ، موقف القرآن من كتب أهل الكتاب ومعتقداتهم ، إبطال المعجزة القرآنية

المبحث الثالث: تاريخ الجدل التنصيري ضد أصالة القرآن الكريم------------- ٢٤

أ ــ دور التأسيس (جدليات المشرقيين)

يوحنا الدمشقى ، تيودور أبو قرة ، بارشولوميو الرهاوى ، عبد المسيح الكندى ، بولس الأنطاكى ، ابن كمونة اليهودى

ب ــ الجدل البيزنطي -- ٣١

جــ ــ مرحلة الأندلس -- ٣١

د ــ مرحلة الحروب الصليبية -- ٣٢

بطرس المحترم ، روجر بيكون الراهب الفرنسيكانى ، وليم الطرابلسى ، ريموند مارتني

هــ ــ مرحلة التنصير المؤسَّسي -- ٣٥

المؤسسة الأولى : التبشير ، المؤسسة الثانية : الاستشراق

المبحث الرابع: مسالك الجدل التنصيري ضد أصالة القرآن الكريم---------------- ٤٤

المسلك الأول : ترجمة القرآن ، المسلك الثاني: البحوث التنصيرية حول القرآن ، المسلك الثالث: إصدار الدوريات والقواميس ودوائر المعارف المتخصصة، المسلك الرابع: ترويج المزاعم وإثارة الشبهات

الفصل الثاني

تفنيد مزاعم الجدل التنصيرى حول أصالة القرآن الكريم

المبحث الأول: وجوه تهافت الدعوى الأولى « القرآن تلفيق من اليهودية والنصرانية» -- ٦٣

أولا : شخصية الرسول ﷺ -- ٦٤
ثانيا : تاريخ كتب العهدين القديم والجديد -- ٦٥
النسخة العربية ، تعدد نسخ العهد القديم والجديد
ثالثًا : الاختلاف بين اليهودية والمسيحية والإسلام فى أصول
الإيمان-- ٧١
رابعًا : أثر القرآن والتوارة والإنجيل فى الارتقاء بجوانب الحضارة
الإنسانية -- ٧٤
الجانب الأول : الأخلاق ، الجانب الثانى : المجتمع
الجانب الثالث : العلم
خامسًا : تأثير الإسلام فى اليهودية والنصرانية ------------------------------------ ٩٠
المبحث الثاني : وجوه تهافت الدعوى الثانية ((القصص القرآني تكرار لقصص التوارة والإنجيل)) ------------------------------ ٩٣
أولاً : اختلاف منهج القصص فى القرآن عن المنهج القصصي فى
التوارة والإنجيل -- ٩٣
ثانيًا : تباين أهداف القصص فى القرآن والتوارة والإنجيل ------------------------ ٩٨
ثالثًا : القصص الذى انفرد به القرآن --- ١٠١
رابعًا : نتائج المقارنة بين القصص المتناظر فى القرآن والتوراة
والإنجيل -- ١٠٣
رواية خلق العالم ، الطوفان ، قصة يوسف

الفصل الثالث

دلائل الإعجاز القرآني

المبحث الأول : الإعجاز البياني --- ١٢٣
المبحث الثاني : الإعجاز الإخباري-- ١٢٥
المبحث الثالث : الإعجاز التشريعي --- ١٢٦
المبحث الرابع : الإعجاز العقلي -- ١٢٩
المبحث الخامس : الإعجاز العلمي -- ١٣٦
مصادر ومراجع البحث --- ١٤٧
ملاحق البحث-- ١٥٥

* **المؤلف فى سطور:**

الدكتور/ عبد الراضى محمد عبد المحسن

- تخرج من كلية دار العلوم بجامعة القاهرة ١٩٨٣م.
- عُين معيداً بالكلية ١٩٩٣م.
- ماجستير فى الفلسفة الإسلامية بتقدير ممتاز عام ١٩٩٠م.
- دكتوراه الفلسفة الإسلامية ومقارنة الأديان من جامعتى: القاهرة وبامبرج Bamberg الألمانية بمرتبة الشرف الأول عام ١٩٩٦م.
- مدرس بقسم الفلسفة الإسلامية بكلية دار العلوم - جامعة القاهرة.
- معار للعمل بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بوظيفة أستاذ مساعد بكلية أصول الدين بالرياض.

* **مؤلفات علمية:**

١- التطرف اليهودى، مكتبة التوعية الإسلامية، الهرم، ١٩٩٢م.

٢- منهج أهل السنة والجماعة فى الرد على النصارى، مطبعة الفاروق الحديثة، القاهرة، ط الثانية، ١٩٩٦م.

٣- الأخلاق بين النظرية والتطبيق - بالاشتراك مع د. حامد طاهر، دار الثقافة العربية، القاهرة، ١٩٩٦م.

٤- أنبياء اليهود فى التوراة والتلمود (قيد الطبع).

٥- حقيقة المسيح بين النبوة والأساطير (قيد الطبع).

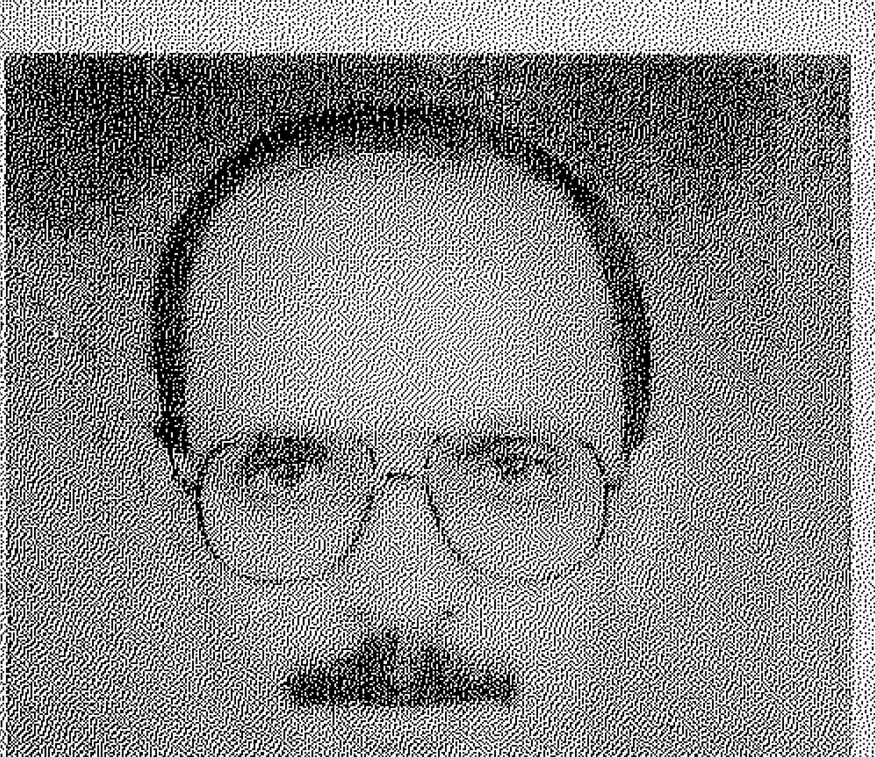
٦- نبى الإسلام بين الحقيقة والادعاء، الدار العالمية للكتاب الإسلامى، الرياض، ١٩٩٨م.

7- The Prophet of Islam (Under Press)

* **تحقيق ودراسة:**

١- نزهة الحفاظ لأبى موسى المدينى (تحقيق)، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، ١٩٨٦م.

هذا الكتاب



يشن التنصير بمؤسساته المختلفة غارة شعواء على القرآن الكريم تستهدف النيل من أصالته بوصفه كلام الله المنزل على نبيّ الإسلام وخاتم الأنبياء محمـــد (ﷺ).

وقد اقتضت هذه الغارة التنصيرية بما خلفته من آثار، ضرورة التصدى لها كشفا عن: طبيعتها، ودوافعها، ومنطلقاتها، ومراحل نشأتها وتطورها، والمسالك التى سلكها المنصرون فى جدلياتهم ضد أصالة القرآن، والشبهات والمزاعم التي روّجتها دوائر التنصير، وذلك تمهيدا لتفنيدهـــا، وبيان وجوه تهافتها وعدم ثبوتها أمام معطيات النقل والعقل ومقررات العلوم والمعارف الحديثة، ثم استخلاص دلائل الإعجاز القرآني التي تقطع بربانية مصدره.

حتى يمكن تحصين المسلم المعاصر ضد مخاطر شبهات المنصرين، وتمكينه من الفكاك من أسر الأطروحات التى يقدمها مجادلو التنصير.

وكى يتسنّى من جانب آخر إمداد الدعاة إلى الله بين غير المسلمين بالردود والشواهد القرآنية والعقلية والبراهين العلمية والتاريخية التى تعينهم على الإقناع في الدعوة إلى كتاب الله، وعلى تصحيح المفاهيم المغلوطة التى بثّها المنصّرون عن القرآن الكريم بغرض صرف الناس عنه.

ولم يكن بالإمكان الوفاء بمتطلبات هذه المهمة دون الإلمام بمضمون الكتب المقدسة لدى أهل التنصير ومعتقداتهم وتاريخها، إلى جانب استخدام مناهج النقد العلمي، مثل: المنهج المقارن، ومنهج النقد التاريخي، ومناهج نقد النصوص.

وهذا ما توفر لكاتب هذه الدراسة بحكم تخصصه العلمي الدقيق في مجال مقارنة الأديان، وبحكم ما أتيح له من معرفة عميقة بالفكر الغربي وتياراته المختلفة إلى جانب تضلعه في العلوم الإسلامية.